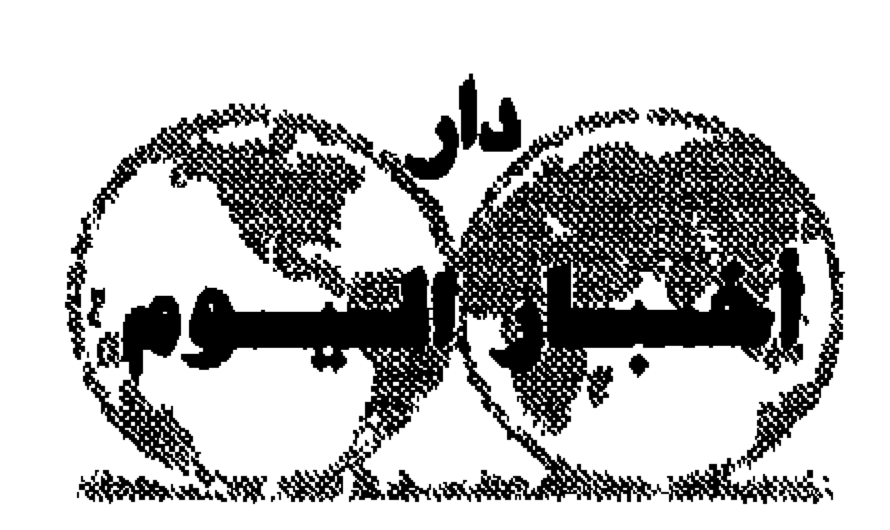


خطة التمويه التى حققت نصر أكتوبر

صلاح قبضايا



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر



رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٢٠	درهما
لبنان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢٠٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٥	دينار
السعودية	١٢	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	١٢٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمان	١,٢٥٠	ريال
غزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنية	١٥٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٢	درهما
قطر	١٢	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
ألمانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٢٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصريا

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٩ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٩ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

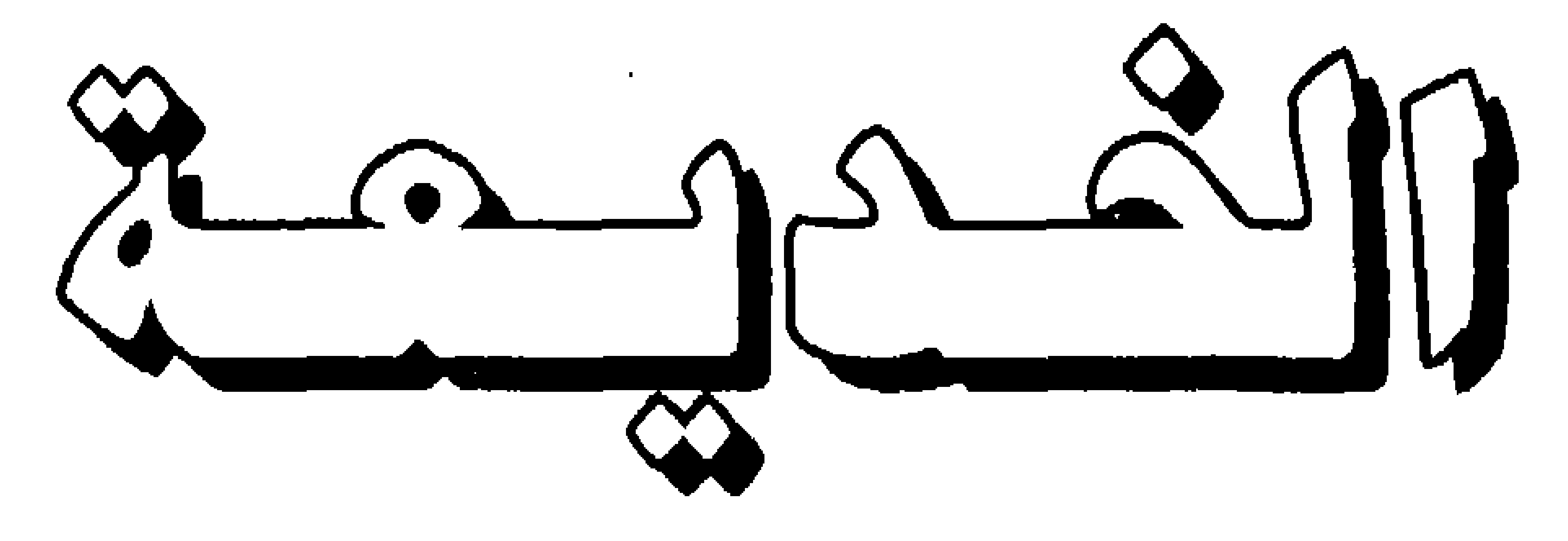
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

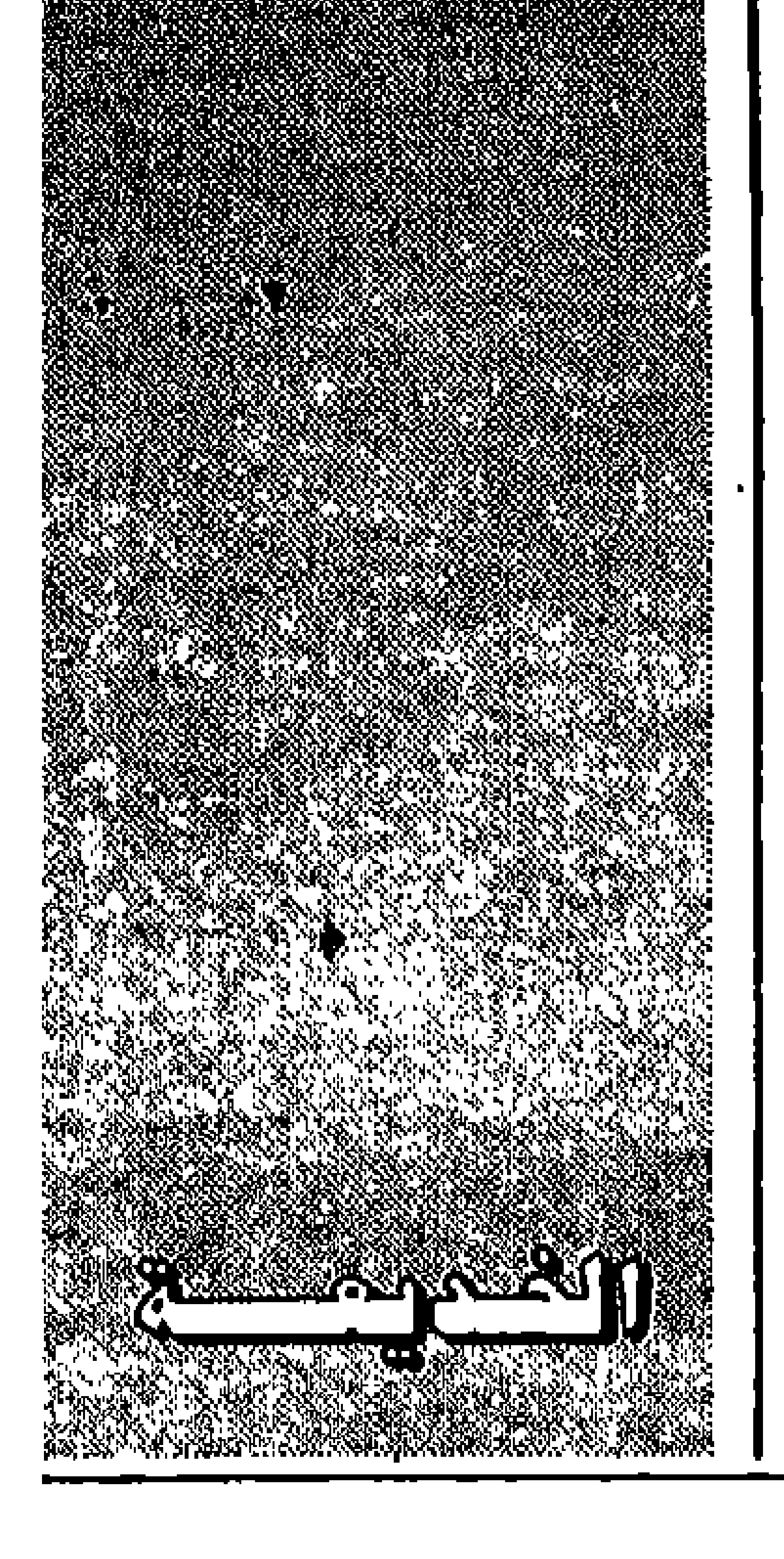
● تلكس محلى : ٢٨٢

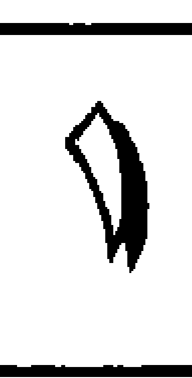
● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠



صلاح قبضايا





خطة عبور المستحيلات الثلاثة

١ - جبهة طولها ١٧٥ كيلومترا
ومانع مائى بعرض ٢٠٠ متر مغطى باللهب العائم
٢ - ساتر ترابى على حافة القناة
بارتفاع ٢٥ مترا وزاوية ميل ٤٥ درجة
٣ - اقتحام ٢٢ موقعا حصينا
و٣١ نقطة مبطنة بألواح الصلب ومحاطة بالألغام

• الاسترخاء العسكرى فى إسرائيل
بدأ بقرار مصر الاستغناء عن الخبراء

• دورية مصرية تتسلل إلى مواقع العدو
للحصول على حفنة من التراب

قبل أن تكتمل الساعة السابعة من مساء الأحد ١٦ يولية ١٩٧٢ بتوقيت القاهرة دقت أجراس أجهزة وكالات الأنباء «التيكرز» داخل قاعات التحرير فى كل صحيفة وإذاعة ومحطة تليفزيون لتنقل الى العالم كله ـ وبجميع اللغات ـ قرار الحكومة المصرية الاستغناء عن الخبراء السوفيت الذين يعملون داخل وحدات القوات المسلحة المصرية.

واختلفت ردود الأفعال في كل مكان.. لكن رد الفعل داخل اسرائيل كان يتخذ مسارا آخر. وقدمت البرامج السياسية والاخبارية فى إذاعة وتليفزيون اسرائيل عدة أحاديث وتعليقات وندوات حول هذا الحدث المفاجيء الذى لم يكن هناك من يتوقعه.

وفى القناة الأولى للتليفزيون الاسرائيلى أدارت «راحيل هيرتزوج» المذيعة ومعدة البرامج السياسية ندوة طويلة شارك فيها كبار الصحفيين الاسرائيليين وعدد من السياسيين الذين يعارضون الحكومة الاسرائيلية ومنهم أحد قيادات حزب «الرافى» ومعه المعلق السياسى شاريت ايتان.

واختلفت الآراء والتعليقات فى هذه الندوة السياسية. كان

بعـضـهم يرى ان قـرار الاسـتغناء عـن الخبـراء السـوفيت يؤكـد اتجاهات مصر نحو التسـوية السلمية دون حرب وانها تعمل على تشـجيع الرئيس الأمـريكى للقيـام بدور أكبـر من أجل التسـوية السلمـيـة. واعـتـبـر أحد الـمحـللين ان هذا الاجـراء هو نوع من الترضية للعناصر العـسكرية فى مصر التى ضجت بالشكوى من السوفـيت ولا تجد لـوجودهم أى جدوى، وان هـذا التيار يـتزايد ويتزعـمه وزير الحـربية نفـسه ـ الجنرال مـحمـد صادق ـ الذى لا يخفى عداءه للسوفيت ويشكك فى نواياهم ويجاهر بذلك.

كان هذا هو رأى بعض المحللين..

فى حين كان أحد رؤساء تحـرير الصحف الاسـرائيلية يرى ان الاستـغناء عن الخـبراء السـوفيت أصـبح أمراً ضروريـاً لارضاء بعض الدول العـربية التى تقـدم المسـاعدات والقـروض لمـصر وتخشى من وجود عناصر شيوعية فوق الأرض المصرية.

وفى هـــــذه النـدوة قـال أحـــد قـــادة أحـزاب اليـمـين الاســرائيلى « آلن جولدمــان » : إنه يرى فى قـرار الاستـغناء عن الخبراء السوفيت مجرد قرار سياسى دعائى للاستهلاك المحدود وانه لن ينعكس كثيراً على مجالات التعاون المصرى ـ السوفيتى، وان هذا التعاون سيـستمر حتى بعد عودة الخـبراء السوفيت الى بلادهم.

وعارض صاحب هذا الرأى باقى المشاركين فى ندوة «راحيل» وما أجمـعوا عليه من أن مـصر وسائر الدول العربيـة لا تستطيع خوض حـرب جديدة فى مـواجهة الخطوط الدفـاعية الـقوية التى

أقامـتها اســرائيل والتى اشتــهرت باسم خط بارليف.. نسـبة إلى الجنرال حاييم بارليف صاحب الفكرة والمخطط الأصلى لبناء خط دفاعى ثابت على ضفة القناة الشرقية.

وقال جولدمــان : إنه لا يجب على زعماء اسرائـيل أن يصدقوا ويكرروا الكلمات التى يتشدق بها العسكريون الاسرائيليون الذين لجأوا إلى الراحة والاطمئنان والترهل وبدأوا يبحثون عن تعويض لحياة التقـشف التى عاشوها من قبل. ولذلك خصـصوا لأنفسهم السيـارات الفارهة ودخنوا الســيجـار الفاخـر واتجهوا إلـى جمع المقتنيات والقطع الأثرية وغرقوا فى قصص الحب والغرام.

وكان من الواضح أن المـتحدث يقصد بهـذا الكلام ـ تحديداً ـ الجنرال مـوشـى ديان وزيـر الدفـاع الإسـرائيلى الذى كـان قـد انفصل عن زوجـته ـ السيـدة روت شوارتس ـ منذ شـهور قليلة ليعيش مع فتاة أخـرى وعدها بالزواج، ومعروف عنه هواية جمع الآثار و التنقيب عنها.

وهذا ما دفع المذيعة راحيل إلى التـدخل لتوجه الحديث وجهة أخرى وتطرح سؤالاً عن إمكانيات العرب العسكرية وهل سيضطر العرب إلى الموافقة على شروط السلام الإسرائيلية.

واندفع المتحدث نفـسه ليقاطع الآخرين وليؤكد اسـتحالة بقاء التـفوق العـسكرى الإسـرائيلى إلى الأبد بين مـائة مليون عـربى مقـابل ثلاثة ملايين إسـرائيلى. وقابل بـسخرية بالغـة آراء الذين اعتـبروا خروج الخـبراء السوفـيت بمثـابة تأكيد على عـدم قدرة العرب على القتال.

ومصداقية هذا الكلام كانت تنعكس فى تلك اللحظة على ما يجرى بسرية تامة على الجانب الآخر من أرض الصراع.. على الجانب الغربى من قناة السويس.

كانت سيارة صغيرة من طراز «فيات» تتجه إلى باب معهد تحليل التربة فى القاهرة وبداخلها الرائد فاروق فى ملابس مدنية متجها إلى مكتب المدير بناءً على موعد سبق تحديده منذ ساعات. وكانت بجواره حقيبة جلدية سوداء من حقائب السفر الصغيرة حرص على حملها بنفسه إلى مكتب المدير.

وفوق طاولة الاجتماعات فى مكتب الدكتور حسنى فتح الرائد فاروق الحقيبة بعناية بالغة ليخرج منها خمسة أكياس صغيرة من الخيش مليئة بالرمال.

وفى كلمات قليلة واضحة شرح الرائد فاروق المطلوب، وقدم خطاباً موجهاً من محافظة البحيرة إلى معهد تحليل التربة تطلب فيه المحافظة إجراء فحص كامل وتحليل لهذه الرمال وتحديد مكوناتها بدقة ومدى تأثرها بالأثقال مع اختلاف كثافتها وأثر المتفجرات عليها.

وكان من الطبيعى أن يثير ذلك حب الاستطلاع لدى الدكتور حسنى. ولم يترك الرائد فاروق الأمر للخيال والاستنتاج وأكد انه سيشرح سر هذه المهمة. إن قوات الدفاع الجوى تستخدم سواتر ترابية من هذه الرمال وتريد أن تدرس مدى تأثرها بنيران الطائرات المعادية وبأنواع الطلقات والقنابل والعمليات التخريبية. وأكد المتحدث ثقة القوات المسلحة فى الدكتور حسنى ورجاله

وقدرتهم على حفظ هذا السر الخطير..

وكان ذلك أقوى دافع لوحدة أبحاث التربة على التحمس لهذا العمل الوطنى الكبير. ولم يتأخر مدير الوحدة لحظة واحدة وانطلق إلى داخل المعامل ليقوم بتوزيع عينات الرمال على الباحثين ويكلف كلا منهم بتحليل العينة وتحديد مكوناتها تمهيداً للوقوف بدقة على مدى تأثرها بالمواد الكيماوية وبالطلقات والمتفجرات المختلفة مع تغيير درجات كثافتها.

ولم يكن الدكتور حسنى ـ ولا أحد من رجاله ـ يعرف أن هذه الأتربة هى عينات من الساتر الترابى الذى أقامته إسرائيل على الضفة الشرقية لقناة السويس أمام نقاطها الحصينة فى خط بارليف لتعوق تقدم أى قوات مصرية تحاول عبور القناة.

وأيضاً.. لم يكن أحد منهم يعرف أن هذه العينات قد عادت بها دوريات الاستطلاع المصرية بعد منتصف ليلة الأمس من شرق القناة وأن عينات أخرى مماثلة تم إرسالها إلى المعامل المركزية للقوات المسلحة وإلى معامل الكلية الفنية العسكرية لتتم فيها نفس عمليات تحديد المكونات وتحليلها ودراسة مدى تأثير النيران والمواد الكيماوية عليها.

وكل من شارك فى ذلك كان يتصور أنه يقوم بتحليل عينات الأتربة التى تستخدمها قوات الدفاع الجوى المصرى فى عمل سواتر ترابية.. ولم يخطر ببال أحدهم انها جاءت من شرق القناة. وربما كان ذلك هو تصور الرائد فاروق أيضا..

لكن هيئة العمليات كانت وحدها تعرف الحقيقة. وهذا ما دارت

المناقشات حوله ضمن عشرات النقاط الأخرى التى تضمنها جدول أعمال فرع التخطيط بهيئة العمليات عند اجتماعها فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة نصر فى هيئة حلقة بحث يرأسها اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، وحضرها سبعة ضباط هم أعضاء فرع التخطيط بهيئة العمليات ورتبهم بين مقدم وعميد.

.. وقف اللواء الجمسى أمام خريطة قناة السويس وبدأ فى شرح الموقف كما يبدو طبقاً لآخر استطلاع تم منذ ١٢ ساعة. ولم تكن كل هذه المعلومات جديدة ولكنها كانت تتكامل لتجسد صورة الموقف على الجبهة.

إن عبور المدافع المائية كان دائماً أشق العمليات العسكرية وأعقدها وأكثرها فداحة فى الخسائر. وهناك جيوش حاولت عبور الموانع المائية قديماً وحديثاً ففشلت وأصابتها الكوارث. والبعض يرى أن الموانع المائية قلت قيمتها بفضل تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات المائية. لكن قناة السويس مانع فريد يختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى لعدة أسباب:

- يتراوح عرض القناة ما بين ١٨٠ و٢٢٠ متراً وطولها يصل إلى ١٧٥ كيلو مترا ويتراوح عمقها ما بين ١٦ و١٨ متراً وينخفض سطح المياه عن حافة الشاطىء بحوالى مترين. وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات التقليدية لا عوماً ولا خوضاً ولا سيراً على القاع.

- يحد القناة شاطىء شديد الانحدار مغطى بستائر أسمنتية

وحديدية تمنع نزول وصعـود المركبات المائية إلا بعـد تجهيزات هندسية مسـبقة. وهى صفة تتفرد بها قنـاة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم باستثناء قناة واحدة هى قناة بنما.

ـ تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر فـيختلف منسوب المياه تبعـاً لارتفاعها واتـخفاضـهـا عدة مرات فى اليـوم الواحد. ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمتراً فى شمال القناة بينما يزيد هذا الفـارق كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل إلى المترين قرب مدينة السويس. ولمثل هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العـبور والأعمـال الفنية الخـاصة بإقـامة المـعديات وإنشاء الكبارى.

ـ هناك عامـــل مهم له تأثـــيره على العـــبور وهو ســـرعة التيار واتجـاهه لأن القناة تتمـــيز بشـــدة التيـار وســـرعته التى تبدأ من ١٨ مـتراً فى الدقيـقة بالقطاع الشـمالى وتصل إلى ٩٠ متـراً فى الدقيـقة فى القطاع الجـنوبى. وفضلاً عـن ذلك فإن اتجاه التيار يتغيـر دورياً كل ست ساعات من الشمال إلى الجنوب والعكس.

ويوجد على الضفة الشرقية للقناة ساتر ترابى من ناتج حفرها وتطهيرها يتـراوح ارتفاعه من ستة إلى عشـرة أمتار. وقد أوحى هذا السـاتر الترابى للعدو أن يستغله فى إقامة خط دفاعى محصن على امتـداد القناة، فقام بتـعليته حتـى وصل فى بعض القطاعات إلى ٢٥ متراً ارتفاعاً.

وفى جوف هذا الـساتر الترابى الكـبير أقـام العدو عـدة نقاط

حصينة بذل فى بنائها جهداً ضخماً وأموالاً وفيرة واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها وطبقها على خط بارليف.

وأراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سداً منيعاً يحول بين جيش مصر وأرض مصر فى سيناء، فلم يكتف برفع الساتر الترابى رأسياً بل قام بإزاحته غرباً حتى لامس حافة القناة تماماً بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ليضع أمام المقاتل المصرى مزيداً من العقبات وينمى في وجدانه شعوراً بالعجز واليأس.

وأقام داخل هذا الساتر وفوق قمته وإلى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة تشكل فى مجموعها منطقة دفاعية من أقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ.

وقد أطلق اسم «خط بارليف» على الخط الأول منها والذى تكلف انشاؤه ٢٣٨ مليون دولار أى ما يقرب من نصف تكاليف السد العالى.

ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعاً حصيناً تضم ٣١ نقطة قوية تبلغ مساحة كل نقطة منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر وهى عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر الترابى.

ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم من الأسمنت المسلح المقوى بالقضبان الحديدية وألواح الصلب ويفصل كل طابق عن

الآخر طبقـة من القضبان الحديدية والخرســانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين.

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى جميع الاتجـاهات، فضــلاً عن دشم أخرى مـجهزة لأسـلحة المـدفعـية والدبابات. وتتصل جـميع هذه التجـهيزات ببـعضـهـا البعض عن طريق خنادق مـواصلات عـميـقة مبـطنة بألواح الصلب وشكائر الرمل. ووفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقاط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ألف رطل أو أكثر.

ولزيادة مناعة النقاط الحـصينة أحاطها العدو بنطاقات كـثيفة من الأسلاك الشائـكة وحقول الألغام المضــادة للدبابات والأفراد والتى بلغ عمقها حوالى ٢٠٠ متـر بالإضافة إلى الشراك الخداعية التى تغطى ميـول الساتر الترابى وقـمته؛ كـما جهـز العدو بعض النقاط بخزانات الوقود ومـواد النفط وسائل النابالم، وتخرج منها مواسيـر إلى القناة ليتســرب خلالها الوقود طبـقاً لنظرية الأوانى المـستطرقـة فتغـطى سطح القناة. وعندما تشـتعل هذه الســوائل تتـحـول ميـاه القناة إلى مـسطح هائل مـن اللهب ترتفع ألسنتـه الحـارقة لحـوالى المـتـر وتزيد درجة حـرارته على ٥٠٠ درجـة مئوية.

وحرص العدو فى اختيـار مواقع هذه النقاط الحصينة على أن تغطى الاتجاهات الصالحة لعبـور القناة وتعوق تقدم قوات العبور إلى عمق سيناء. وتتبادل كل النقاط الحصـينة فيما بينها المعاونة بالنيـران، لتـخلق بالإضـافـة إلى السـد التـرابى وحـاجـز اللهب

المشتعل ســداً آخر من نيران الأسلحة المتوسطة والثـقيلة خاصة بعد أن جهز العدو عدة مواقع لدباباته فوق الساتر الترابى بفاصل ١٠٠ متر على طول قناة السويس.

واستطرد اللواء الجمسى قائلا :

.. بذلك نرى أن قناة الســويس وخط بارليف ليس مجـرد مانع حصين فـحسب بل هو مانع فريد ليس له مـثيل فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله. وهذا ما دفع الجنرال ديفـيد اليــعازر رئيس أركــان الجيش الإســرائيلى إلى أن يقول: إن خط بارليف سيكون مقبرة للجيش المصرى.

وانتهى المـؤتمر الذى ترك آثاره السلبـية على بعض الضــباط لكنه لم يقتل روح التــحدى داخلهم. وكان لكلمات اللواء الـجمسى أثرها فى تخفيـف الآثار النفسية عند الرجال عنـدما قال لهم انهم جميعا مكلفون بوضع حلول عمليـة لمواجهة هذه المعضلات التى تجعل من العبـور أمراً مستحيلاً. وباخـتصـار مطلوب منا الآن ان نجعل عبـور قواتنا المسلحة لـهذا المانع المائى والاســتيلاء على النقاط الحصـينة لخط بارليف أمراً ممكناً ومـستطاعاً بدلاً من أن يظل مستحيلاً.

وتم تكليف مـجمـوعات الخـداع الاســتراتيـجى بوضع خطط التعمية والخداع بحيث يرسخ لدى العدو استحالة تفكير مصر فى الحل العـسكرى. كما أن أجـهزة الدولة الأخـرى ستـقوم بأعـمال المساندة المطلوبة بما فى ذلك شركات المقاولات المدنية.

وتم تلخيص المشاكل الأساسية التى تواجه العبور فى خمس نقاط رئيسية :

أولاً : طرق دفع القوات إلـي الممر المائى ووسائل عبوره، رغم وجود هذه المعوقات على ضفتى القناة ، بما فى ذلك الساتر الترابى الهائل شرق القناة.

ثانياً : وسائل اخماد النيران فوق سطح مياه القناة أو منع تسربها دون أن يشعر العدو بمحاولات تخريبها.

ثالثاً : مفاجأة العدو بعبور المجموعات الأولى من القوات وتأمينها ضد نيران العدو بمدفعيته ودباباته ورشاشاته.

رابعاً : كيفية ارتقاء الساتر الترابى الذى يبلغ ارتفاعه عشرين متراً.

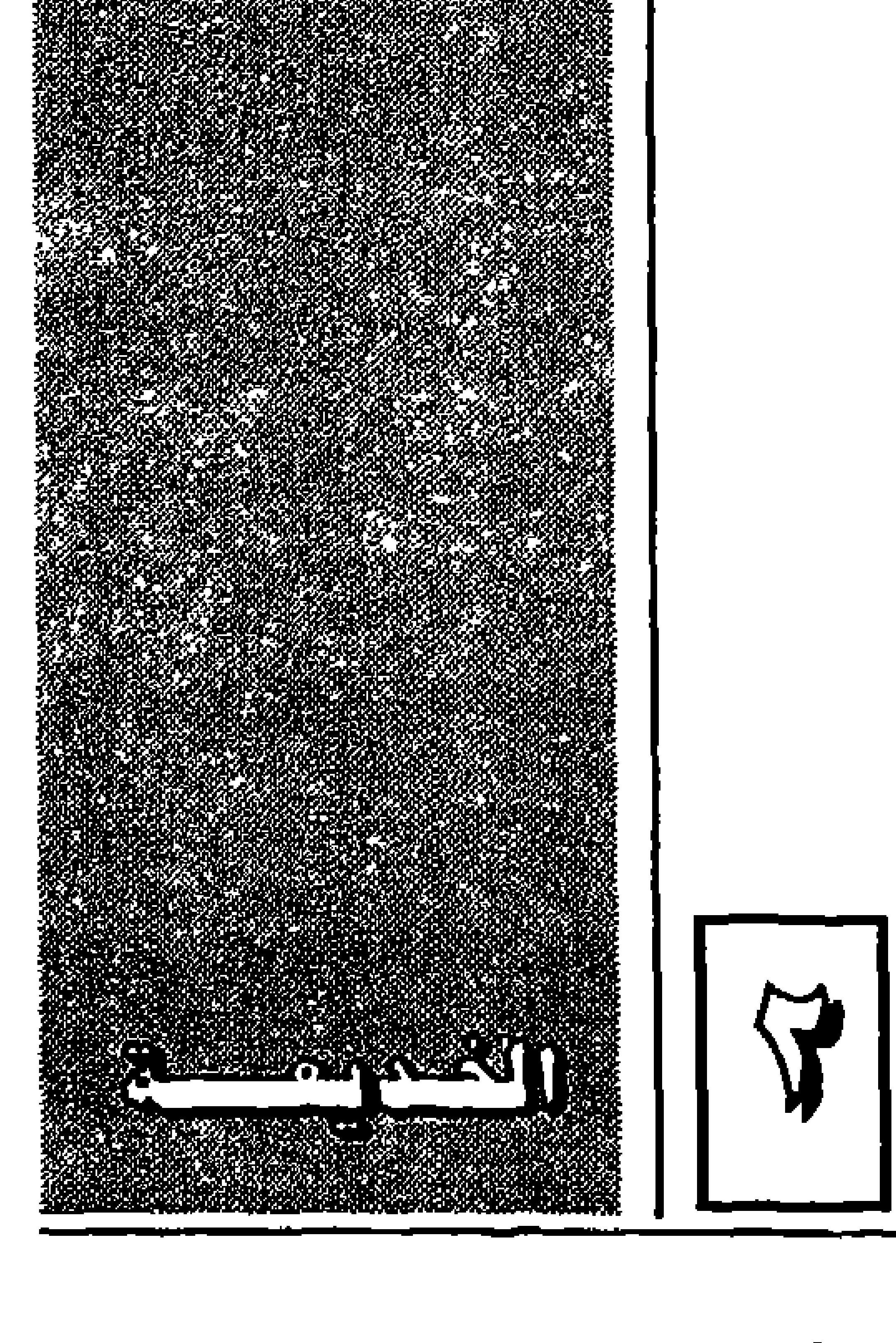
خامساً : توفير أسباب نجاح قوات العبور المترجلة فى مواجهة دبابات العدو وعرباته المدرعة.

وأخيراً .. وبعد أن نصل إلى حلول ممكنة وحاسمة لهذه المعضلات يصبح أمام سائر الوحدات المقاتلة التدريب عملياً على الدور الذى تكلف به كل وحدة بصورة تبدو طبيعية ودون أن تلفت نظر العدو أو تقلل من فرصة خداعه وتحقيق المفاجأة الكاملة له.

وانتهى المؤتمر.. لكن مئات الرجال انطلقوا فى دراسة هذه المشاكل الهائلة التى تواجه فكرة العبور.. أو فكرة الحرب من أساسها.. وكان شعارهم هو كلمات مدير العمليات التى أنهى بها

اجتماعهم.. «لابد أن نجد الحلول.. ولابد أن ننجح.. ولا بديل عن الحرب».

وهذا ما تردد بعد ذلك فى اجتماع إعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى مبنى القيادة العامة ، قبل أن ينتقلوا إلى بيت الرئيس أنور السادات فى الجيزة حيث تولى رئاسة المجلس باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة..



٣

البحث عن قنبلة ذرية

- عجلة الحرب بدأت فى الدوران من بيت السادات فى الجيزة
- كبار الضباط الذين عارضوا السادات وتآمروا عليه لمنع الحرب
- الخطة «بدر» تعتمد على الإمكانيات المتاحة وليس على الإمكانيات المطلوبة
- الجاسوسة الأمريكية فى القاهرة ساهمت فى خداع إسرائيل

المكان : منزل الرئيس أنور السادات المطل على نيل الجيزة بين كوبرى الجلاء وكوبرى الجامعة..

الزمـــــان : الســاعة الثامنة والنصف مـساء يوم الثلاثاء ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ ويوافق إحـدى ليالى شهر رمضان وبالتحديد ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ.

كانت الأحداث تبدو كأنها زيارة رمـضانية أو دعوة إلى سـهرة رمضـانية فى بـيت الرئيس القائد الأعلى للقـوات المسلحـة وهذا يؤكده حضور المدعوين بمـلابسهم المدنية وكان بينهم من يضع ملابس ثقيلة تحوطاً لتقلبات الليل بعد أن بدأ شتاء القاهرة مبكراً.

لكن الوقـائع كانت تخـتلف كل الاختـلاف عما يبـدو فى ظاهر الأمر. لـقد كـان الحاضـرون هم أعضـاء المجلس الأعلى للقـوات المسلحة ورؤساء الأفرع الرئيـسية ولم يكونوا مجرد زوار. وكان الرئيس السادات قـد أصدر أمراً صباح الـيوم نفسه باستـدعائهم جميعاً لعقد اجتماع المجلس الأعلى فى بيته.

ضـم الاجـتمـاع الفريق أول مـحـمد صـادق (وزير الحربيـة) والفـريق سـعـد الدين الشـاذلى «رئيس أركـان حـرب القـوات المسلحة» واللواء طيار محمد حسنى مبارك «قائد القوات الجوية»

واللواء بحرى محمود فهمى «قائد القوات البحرية» واللواء محمد عبدالغنى الجمسى «رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وواحد من أبرز ضباط المدرعات» واللواء محمد محرز «مدير إدارة المخابرات الحربية» واللواء سعيد الماحى «قائد سلاح المدفعية» واللواء عبدالمنعم واصل «قائد الجيش الثالث الميدانى» واللواء على عبدالخبير «رئيس هيئة التدريب» واللواء نوال عامر «رئيس هيئة الامداد والتموين» واللواء سعد مأمون «قائد الجيش الثانى الميدانى».

وتولى اللواء الجمسى تسجيل وقائع الاجتماع الذى انعقد فى الصالون الكبير بالطابق الأرضى من منزل الرئيس.

ساد الصمت بين الجميع وكان البعض يستشعر خطورة هذا الاجتماع ، رغم انه يأتى بعد سلسلة متكررة من الاجتماعات المتتالية التى عقدها المجلس الأعلى للقوات المسلحة والمؤتمرات الأخرى التى رأسها وزير الحربية ، وكان آخرها صباح نفس اليوم عندما اتصل الرئيس بوزير الحربية ودعا إلى اجتماع المجلس الأعلى فى بيته.

وربما كان الصامتون يسترجعون ما دار فى الصباح أثناء «مؤتمر الوزير» أو يعدون الكلمات التى سيشاركون بها فى المناقشات وما أوحى به إليهم وزير الحربية صباحاً. لقد كانوا مجتمعين مع رئيس الأركان فى الساعة التاسعة صباحاً وهو المؤتمر المعتاد الذى يعقده رئيس الأركان مرة كل شهر. ولحظتها اتصل به الوزير وطلب عقد اجتماع بكل الحاضرين فى الساعة

الثانية عشرة ظهرا يحضــره جميع أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وكـان الهدف هو الاسـتمـاع لرأى القادة فى المـوقف العسكرى قبل الاجتماع مع الرئيس السادات فى الثامنة والنصف مساءً.

وفى اجتماع الظهر بمكتب وزير الحربية تكلم الجميع. وتحدث كل عضو من أعضاء المجلس الأعلى عن المتاعب والمشكلات التى مازالت تواجهه.

وأنهى وزير الحربية الاجتماع قائلاً :

«كل ما أريده هو أن يقوم كل منكم بإعطاء صورة حقيقية عن الموقف ـ موقف قواته ـ أمـام الرئيس هذا المسـاء . إن الرئيس يعتقـد أننى أبالغ فى ذكر المشكلات ولذلك فإنه يريد أن يسمـعها منكم شخصياً».

وهذا ما حدث بالفـعل فى اجتماع الجيـزة الذى بدأ فى الساعة التاسـعة واستـمر حتـى منتصف الليل وشهـد مناقشـات ساخنة كادت تصل إلى حـد المشادة فى وجـود رئيس الجمـهورية. ولم يكن أحد يتوقع أن يفقد بعض الحاضـرين من كبار القادة منصبه نتيـجة ما تكلم به أمـام الرئيس.. كما لم يسـتشعر أحـد أن عجلة الحرب بدأ إعـدادها للدوران فى هذا الاجتمـاع عندما أطل الرئيس على الحـاضرين من البـاب الذى يفصل بين الحـجرة وبين البـهو الواسع المواجه للمدخل الرئيسى للبيت.

تقدم الرئيس مـبتسماً مـرحباً وقد بدت عليـه ملامح الإصرار. كان يمسك بالعصا فى يده الـيسرى وقد ارتدى بذلة من الصوف

الرمادى الداكن. واتجه لاستقباله الفريق أول محمد صادق الذى لم يكن يدرى أن هذا هو آخر اجتماع يحضره مع الرئيس وأنه سيفقد منصبه بعد ساعات ليحل محله أحمد إسماعيل وزيراً للحربية.

صافح الرئيس الفريق أول محمد صادق ليمر على باقى الرجال يصافحهم مردداً اسم كل منهم مسبوقاً بعبارة: أهلا يافلان..

وجلس الرئيس فى صدر الصالون وقد بدأ حديثه عن سهولة الصوم فى أيام الشتاء ، وكيف أن النهار القصير جعل الإفطار فى الخامسة والربع ، وهو موعد يقترب من موعد غداء الضباط الذين يعودون إلى بيوتهم بعد الثالثة عصراً.

وكانت أكواب التمر هندى وقمر الدين تطوف على الجالسين عندما نظر الرئيس إلى سكرتيره الخاص فوزى عبدالحافظ قائلاً: خلاص يافوزى.

وأغلق فوزى الباب وراءه بعد أن انسحب السفرجى دون أن يحمل معه الأكواب الفارغة.

وتحولت الجلسة إلى اجتماع رسمى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية برئاسة رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات. وقام اللواء محمد عبدالغنى الجمسى بكتابة محضر الاجتماع الذى جاء فى بدايته قول الرئيس السادات : باسم الله نبدأ جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

وتحدث الرئيس فى البداية عن الموقف السياسى العام والعلاقات المصرية ـ السوفيتية قائلاً : نحن الآن أمام امتحان صعب .. أن نكون أو لا نكون .. وقالها الرئيس بالإنجليزية To Be Or not to Be لأن الجميع والعدو والصديق لا يثق بأننا سنقاتل ولذلك فإن الحلول التى تعرض علينا كلها من منطلق أننا لن نحارب.

ورحلاتى إلى الاتحاد السوفيتى فى مارس ٧١ وأكتوبر ٧١ وفبراير ٧٢ كانت بناءً على طلبى. لكن رحلتى فى أبريل ٧٢ كانت بناءً على طلب القيادة السياسية السوفيتية. وقلت لهم فى أبريل إن القضية لن تتحرك سياسياً إلا إذا أمكن تحريكها عسكرياً ، وأن إعداد الهند للحرب ضد باكستان استغرق منهم ستة أشهر. ويمكنهم أيضاً أن يفعلوا الأمر نفسه مع مصر. وعندما حضر المارشال جريشكو فى مايو أرسلت معه كتاباً إلى القيادة السياسية السوفيتية وأخبرتهم بصراحة بأننى لا أقبل بقاء أية وحدات سوفيتية فى مصر ليست تحت القيادة المصرية.

وعندما تدخل الرئيس حافظ الأسد لتحسين العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى وسافر سراً إلى هناك وجد السوفيت على استعداد لتحسين العلاقات. ولذلك سافر عزيز صدقى إلى موسكو ودخل معهم فى مناقشات عنيفة ، أكدوا بعدها أن سياستهم تجاه مصر لم ولن تتغير على الرغم من قرار إنهاء عمل المستشارين الروس فى مصر. وقد أخطروا عزيز صدقى بأن

علاقتهم معنا والتزامهم بإمدادنا بالسلاح لن يتأثر نتيجة الاتفاق الودى الذى عقد بينهم وبين أمريكا.

لكنهم قالوا أيضاً لعزيز صدقي: لو كنا فى مثل موقفكم لقاتلنا لتحرير أرضنا حتى لو لم يكن لدينا سوى البنادق. ولذلك فأنا أطالبكم بإعداد خطة هجومية وتحديد مواعيد تنفيذها طبقاً لما بين أيدينا من إمكانيات وليس حسب ما يفترض وجوده.

وعلق بعض القادة على حديث الرئيس وتكلموا عن الساتر الترابى الذى أعده العدو بارتفاع ٢٠ متراً وجعله متصلاً بحافة القناة . وقال اللواء عبد المنعم واصل إن ذلك يجعلنا نتوقع خسائر كبيرة ، كما أنه يتيح للعدو كشف مواقعنا وكل تحركاتنا.

وتجاهل الرئيس هذا التعليق عندما استطرد مؤكداً ان علينا أن نضع الخطة التى تعتمد على ما يتوافر معنا وليس على المفروض توافره.

لقد قال بعضهم : إن إزاحة الساتر الترابى وضرب النقاط الحصينة أمام قواتنا عندما تعبر يتطلب قنبلة ذرية.. وإنه بدون القنبلة الذرية ستتحطم موجات العبور وستدفن تحت الساتر الترابى بين مياه القناة ونقاط خط بارليف.

وربما لا يعرف كثيرون أن هذا الكلام تردد بصورة جدية بين الأخ معمر القذافى والرئيس عبدالناصر ـ الله يرحمه ـ وكانوا

يقولون إن الحل السلمى هو الممكن الوحيد فى غياب القنبلة الذرية العربية.

والرائد عبدالسلام جلود كان قد جاء إلى مصر فى زيارة سرية واجتمع بالرئيس عبدالناصر ـ الله يرحمه ـ وقال له ان ليبيا تنوى شراء قنبلة ذرية وإنه سيذهب للتفاوض على شراء القنبلة من الصين.

ويومها قال عبدالناصر ان القنابل الذرية ليست أبداً سلعة معروضة للبيع. لكن جلود سافر متنكراً إلى الصين عن طريق باكستان وبجواز سفر غير ليبى واجتمع مع شواين لاى وطلب منه قنبلة ذرية تكتيكية صغيرة مع استعداد ليبيا لدفع ثمنها.

وطبعاً شواين لاى فوجىء بالطلب.. ورد بطريقة مهذبة بما يفيد أن الدولة التى تريد قنبلة ذرية يجب أن تصنعها بأيدى أبنائها وأن تعتمد فى ذلك على نفسها.

وأنا أقول لكم بصراحة ان المتوافر لدينا الآن من سلاح ومعدات وتجهيزات هى التى سندخل بها المعركة، وعليكم جميعاً أن تضعوا خطة هجومية لا تعتمد على شىء آخر سوى ما معنا من سلاح.

وأنا طلبت الاجتماع بكم لاستمع إلى المشاكل والمعوقات ونحاول أن نذللها معاً ونضع الأسلوب المناسب لمواجهتها.

وطبعاً القرار الذى أصدرته العام الماضى ـ منذ سنة بالضبط ـ فى أكتوبر ١٩٧١ لا يزال قائماً وهو القرار الخاص بأن أتولى

عمل القائد العام للقوات المسلحة بنفسى. ولذلك طلبت من الوزير أن نناقش معاً المشكلات القائمة وأن أسمع منكم مباشرة.

لكن قبل ذلك أحب أن أضعكم فى الصورة..

إن اجتماع اليوم سيعقبه اجتماعات أخرى مع الخارجية والداخلية والتموين والإعلام وجهاز المخابرات العامة، وسأبحث مع كل جهة قرار الحرب على كل المسارات بالإضافة إلى بحث المسار السورى والمسار العربى والدولى. وسنحدد موقف الجبهة الداخلية والتموين وخطوات حشد الرأى العام الداخلى بالإضافة إلى المساندة العربية والعالمية.

وعلى المسار العسكرى نجحنا فى التحول إلى الهجوم. وقد تابعت معكم المشروع الهجومى منذ بدايته، والمطلوب الآن هو أن يكون واضحاً للجميع أن خطة الهجوم لابد أن تستكمل بالأسلوب الذى يناسب ما بين أيديكم.

وكانت هذه الكلمات تشكل نوعاً من الصدمة لبعض القيادات العسكرية التى ضمها هذا الاجتماع.

لقد كان حديث السادات يعنى تحديداً دقيقاً لأسلوب التحرك الاستراتيجى.. وربما أجهض ذلك معظم ما كان سيخوض فيه المجتمعون حول المشاكل القائمة والصعوبات التى تواجهها القطاعات المختلفة.

وقد تضمن حديث الرئيس رداً على ما كان يتردد حول استحالة ضرب النقاط الحصينة فى خط بارليف وإزالة الساتر

الترابى شرق القناة بدون قنبلة ذرية.

لكن رد الفعل كان سلـبياً على البعض - خاصـة وزير الحربية الفريق أول محمد صادق - ولم تمض ٤٨ ساعة على هذا الاجتماع حتـى صدر قرار بـإعفاء مـحمـد صادق وتعـيين الـفريق أحـمد إسماعـيل على وزيراً للحربية، وإعـفاء اللواء بحرى محـمود على فـهمى قـائد القـوات البـحرية وتعـيـين اللواء فـؤاد ذكرى قـائداً للبحـرية، كما شـملت حركة الاستـبعاد كل من أبدى عـدم اقتناع بكلام الرئيس وبحـتمـية الـحرب وهم الفـريق عبـدالقادر حـسن واللواء على عبدالخبير واللواء مـحـمد محرز مدير إدارة المخابرات الحربية وتعيين اللواء فؤاد نصار بدلاً منه.

وقد تـم القبض على اللواء على عـبدالخـبيـر وبعض الضـباط ومنهم عناصـر بالمخابرات الحـربية يشكلون مـعاً تنظيمـاً سرياً يسـمى « إنقاذ مـصــر » ، ويهدف إلى القـيـام بانقلاب عـسكرى والاطاحة بالرئيـس السادات. وكانت الخطة تعـتمـد على مهاجـمة مكان الاحتفـال بزفاف كريمة سعـد الدين الشاذلى - ناهد - الذى سيحضره الرئيس السـادات وكبـار قادة وضباط القوات المسلحة يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٢ واعتقالهم جميعاً.

وقد كشـفت التحقيقـات عن أن المتآمرين كانوا يتـحركون من منطلق وطنى لأنهم كانوا يظنون أن هناك قوى معادية تدفع مصر دفعاً إلى الحـرب دون استعداد بقـصد القضاء تمامـاً على القوات المسلحة المـصرية وإجهاض كل محاولة لاستـرداد سيناء ونشر الفوضى فى البلاد.

ولم يكن الفريق صادق مـشاركاً فى المؤامرة لكنه كان يـعتقد أن الشـيوعـيين يهـدفون إلى دفع مـصر للحـرب لتعم الفـوضى ويسيطروا هم على مقدرات الشعب المصرى.

وشاء القدر أن تتكشف أبعاد المؤامرة من خلال ضابط صغير فى المخابرات الحربية علم بوجود اجـتماعات سرية يرأسها اللواء على عبدالخبير وأبلغ بهـا أحد أقاربه لينقلها إلى الرئيس السادات. وتم القبض على هؤلاء الضباط وقدموا إلى المحاكمة العسكرية.

وبهذه الـتعيـينات الجديـدة.. وباستبـعاد المـعارضـين لفكرة الحرب بواسطة ما يتوافـر من سلاح ومعدات.. بدأ الإعداد لدوران عجلة الحرب على مدى عـشرة أشهر كانت تجرى خـلالها عمليات تمويه وخداع استراتيجى تمهد لحلقات أخرى من الخداع التكتيكى الذى سبق ساعة الصفر بـأسابيع قليلة أو بأيام محدودة.. لتكتمل فى النهـاية خيـوط الخـديعة الكبـرى التى صنعت المـفاجـأة فى أكتوبر ١٩٧٣.

وعلى الجانب الآخـر من أرض الصراع كان العـدو الإسرائيلى ينظر للأمر من زاوية أخـرى تؤكد عدم جدية مصـر فى الهجوم. ورسخ ذلك فى وجدان القادة العسكريين هناك.

وهذا مـا عـبـر عنـه المـشــاركـون فى الندوات واللـقـاءات التليفزيونية التى بثها تليفزيون إسرائيل وفى أحاديث السياسيين والعسكريين الإسـرائيليـين وتصـريحـاتهم للصـحف المـحليـة والأجنبية.

فقبل أسابيع قليلة من إجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

فى بيت الرئيس السادات تم تسريح ٣٠,٠٠٠ (ثلاثين ألف) مجند مصرى وإحالتهم إلى الاحتياط. وكان هذا الإجراء يمثل مفاجأة هائلة خاصة أن جميع المجندين الذين شهدوا أحداث يونيه ٦٧ بقوا فى الخدمة لسنوات طويلة إلى أن تم تسريح الثلاثين ألفا فى يولية ١٩٧٢..

ورأى الإسرائيليون فى ذلك مؤشراً من مؤشرات اليأس عند المصريين دون أن يتنبهوا إلى أن الجنود المسرحين كانوا من غير حملة المؤهلات ومعظمهم من العاملين فى مواقع غير قتالية وليس منهم من يشارك فى الوحدات الضاربة.

كما تلقفت أجهزة تحليل المعلومات فى إسرائيل النكات التى انتشرت فى مصر عن الضباب الذى يحول دون محاربة إسرائيل.

وقصة الضباب بدأت عندما أعلن الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧١ أن هذا العام - أى ١٩٧١ - هو عام الحسم وان القضية سيتم حسمها حرباً أو سلماً قبل بداية عام ١٩٧٢.. ورغم ذلك مضت شهور العام دون أن تنجح كل المحاولات والمبادرات السياسية وأصبح الناس يتوقعون الحرب قبل نهاية ديسمبر.

وفى بداية ديسمبر - وبالتحديد يوم ٣ ديسمبر ١٩٧١ - اندلعت الحرب الهندية - الباكستانية وكان السوفييت مشغولين بدعم الهند فى مواجهة باكستان التى كانت تحظى بالتأييد الأمريكى.

ومع بداية يناير ٧٢ تحدث الرئيس السادات ليبرر مضى عام الحسم دون حسم. وقال إن «الضباب» حال دون قيام مصر

بالهجوم، وإن نشوب الحرب فى شبه القارة الهندية جعل المسرح العالمى غـير متقـبل للحرب فى الشرق الأوسط ، وأن السوفـييت توجهوا بكل ثقلهم نحو تأييد الهند.

وروى قصة «الضباب» مع الرئيس جمال عبدالناصر عندما أمر يوماً القوات الجـوية بضرب قوات العدو المتمـركزة شرق القناة، لكن الطائرات واجـهت ضبـاباً كثـيفاً يحـجب الرؤية فـعادت إلى قواعدها دون أن تـقوم بتنفيذ المـهمة. وعاد الرئيس عبـدالناصر يصدر أوامره بأن تقوم الطائرات بمهمتـها بعد ساعة أو ساعتين. لكن الضباب لم ينقشع ولم تتمكن الطائرات من تنفيذ المهمة.

وتكرر ذلك للمـرة الثـالثـة عندمـا حـال الضـبـاب أيضـاً بين الطائرات وبين قذف مواقع العدو شرق القناة، مما اضطر الرئيس عبـدالناصر إلى إلغـاء الأمر قـائلاً : «ربنا مش عايزنا نقـوم بهذه الضربة».

وبعد أن روى الرئيس الســادات هذه القصة أعلن أن الضــباب حال دون أن يكون العام ٧١ هو عام الحـسم ونشوب الحرب بين الهند وباكستان هو أيضاً شكل من أشكال الضباب.

وانطلقت النكات حول الـضباب وقصــته. وكان من بينهـا نكتة تقول إن الرئيس أنور السادات أصــدر أمراً بأن يكون عام ٧٢ هو امتداد للعام ١٩٧١ وأن يسمى ٧١ بشرطة أو عام ١٩٧١ مكرر.

ورغم ذلك كان تراجع السادات يدعم عمليـات الخداع والتمويه الاستراتيجى ســواء قصد إلى ذلك أو لم يقصد. وكان مـن المفيد أن يشعر العـدو بعدم جدية مصر فى الــحرب ، بشرط ألا ينعكس

ذلك على القادة وعلى القائمين بالتخطيط للعبور.

ولعب قرار الاستغناء عن الخبراء السوفييت نفس الدور لكنه كان دوراً مزدوجاً لأنه وضع القيادات العسكرية أمام مسئولياتها كاملة وضاعف من حماس ضباط العمليات، وفى الوقت نفسه أكد الإحساس لدى العدو بعدم جدية مصر فى الاستعداد للعبور.

وبقدر ما كان قرار تسريح ٣٠ ألف مجند فى يولية ١٩٧٢ مرحلة مهمة من مراحل الأعداء بقدر ما ساعد على خداع العدو ورسوخ مشاعر الاطمئنان والترهل فى وجدانه ووجدان قادته العسكريين والسياسيين على السواء.

والواقع أن الاستغناء عن هذا العدد الكبير من المجندين كان جزءاً من تطوير خطة التعبئة العامة في مصر بعد قرار إيقاف نقل الجنود إلى الاحتياط الذى صدر عام ١٩٦٧، والذى كان له تأثيره على معنويات الأفراد بعد أن مضي عليهم فى التجنيد ما يقرب من ست سنوات، كما أنه يشكل عبئاً مالياً كبيراً دون جدوى لوجود معظمهم خارج التشكيلات المقاتلة، وفى مواقع خلفية ضمن أعداد كبيرة مخصصة لحماية العمق وحراسة المنشآت الحيوية.

وكان عدد الأفراد فى القوات المسلحة المصرية قد بلغ مع بداية عام ١٩٧٢ ما يقرب من مليون رجل مع انخفاض القدرة القتالية لنسبة كبيرة منهم وعدم توافر معدات وأسلحة تفى باحتياجات القوات العاملة. وكان نظام الاستدعاء يؤدى أحياناً إلى وجود قوات إحتياط مستدعاة يكلف أفرادها بأعمال غير مؤهلين لها وغير مدربين عليها.

وبقدر مــا أفادت خطة تطوير الـتعبـئة بقــدر ما ساعـدت على خداع العدو الذى اســتراح إلى قرارات تسريح الجنود الـمصريين ونقلهم إلى الاحتياط.

وفى الوقت نفـســه كانـت أجهـزة التـعـبئـة قـد أدخلت نظام الاستــدعاء بواسطـة الكمبـيوتر واسـتفادت مـن نظم الاستـدعاء المطبـقـة فى كل من السويـد وسويسـرا وإسـرائيل ، وهى نظم متطورة للغاية وتعتمد على أجهزة الكمبيوتر.

وشهدت الشــهور الأولى من عام ١٩٧٣م الكثيـر من القرارات والتحركـات التى ساهمت فى الخداع الاستراتيجى للـعدو ومهدت لعمليات الخداع التكتيكى بعد ذلك.

لقد كان من المعروف أن هناك نقصاً فى عدد الطيارين. وبدأت الطلعـات التـدريبـيـة للطيـران تركـز على العـمل فـوق الخطوط المصــرية غرب القناة والتظاهر بالاتجاه نحـو الدفاع عن المناطق الحـيـوية وإطـالة خطوط طيـران العـدو من قـواعـده على قـدر الإمكان .

وبدأت مصر فى إقـامة مطارات جديدة لم يكن من المـقرر لها أن تنتهى قبل عـام أو عامين، ممـا يؤكد عدم استعـداد المصريين للحرب.

ومن أمثلة ذلك البـدء فى إنشاء مطارات فى بطن جبال الـبحر الأحمر بمـعاونة خبراء[*] فى إقامة الأنفـاق الجبلية. وبدأ بناء مطار النفق الجـبلى فى مـايو ٧٣ وكان القـادة الذين يتـجهـون لزيارة

الجبهـة يزورون هذا المشروع مؤكدين أهمـية المطارات الجديدة فى الخطة الهجومية.

وبالطبع بدأت معركة العبور وانتهت قبل أن ينتهى مطار النفق الجبلى. وكانت التحركات المتكررة للوحدات المختلفة تشكل أيضاً لغزاً لـلعدو الذى لم يفـهم الدافع وراء معظم تلك التـحركـات. لقد كان سـلاح المهندسين يدفع فى النهـار بمعدات العبـور وببعض الجسور والكبـارى فى اتجاه قناة السويس عند مواقع الجـيشين الثانى والثالث الميدانيين ثم يعيد سحـبها ليلاً. وكثيراً ما تحركت كـتائب وألويـة بالكامل شمـالاً وجنوباً ومن الـغرب إلى الشـرق وبالعكس دون أن يكون لذلك سبب مفهوم.

ووقع العـدو فى الفخ. وظن لعدة مـرات أن هناك استـعدادات حقيقـية للعبور. وأعلن حالة الطوارىء أكثـر من مرة ليكتشف أنه تحـمـل الكثـير مـن الأعبـاء الإدارية والـماليـة والعـسكرية دون جدوى.

وبدأ يرسـخ فى وجـدان القيـادة المـعادية أن هذه التـحركـات مجـرد لعبـة مصرية من ألعـاب الاستنزاف، اسـتناداً إلى اعتـماد القوات الإسرائيليـة الضاربة على نسبة عالية من أفـراد الاحتياط، وان استدعاء الاحتياط يمثل عـبئاً مزدوجاً على القيادات العسكرية فى إسـرائيل وعلى القطاعـات المـدنيـة التى يقـوم عليـها أفـراد الاحتياط.

وساعد ذلك علي تبرير التحركات العسكرية المصرية قبل أيام من معـركة العـبور وساهم فى إسـاءة تفسـيرها من قـبل القادة

الإسرائيليين. لكن الواقع أن هذه التحركات المصرية التى ظلت غامضة فى نظر العدو، كانت تمثل حلقة فى سلسلة المشروعات التدريبية للوحدات المختلفة والتى توجتها مناورات خريف ٧٣ التى عرفت بأنها مشروع تدريبى تعبوى والتى أصبحت ظهر يوم السادس من أكتوبر خطة الهجوم «بدر» التى عبر بها أكثر من ٤٠ ألف رجل قناة السويس فى أقل من ست ساعات.

ولعب جواسيس إسرائيل فى مصر دوراً مكملاً فى خطة الخداع الاستراتيجى. وكانت جميع التقارير والمعلومات التى ينقلها جواسيس إسرائيل إلى قادة الموساد فى تل أبيب تؤكد عدم قدرة مصر على القيام بأى عمل هجومى.

وأوضح مثال لذلك الجاسوسة الأمريكية فى القاهرة التى كانت ترأس شبكة محدودة للتجسس على الخبراء السوفييت فى مصر. وتكشّف أمر هذه الجاسوسة قبل عام كامل من الحرب.

والجاسوسة الأمريكية اسمها «سو آن هاريس» وكانت تعمل فى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة حيث كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة مع الولايات المتحدة. وكان يعمل مع «الآنسة سو آن» شاب مصرى من أصل يونانى اسمه «طناشى راندو بولو» حرص على إقامة علاقات صداقة قوية مع بعض الخبراء السوفييت . وإستطاع طناشى أن يجمع معلومات كثيرة من صديق له من الخبراء السوفييت اسمه «بيليكوف» ظل يعمل فى القاعدة الجوية المصرية لمدة عامين وكان على اتصال دائم بالجاسوس طناشى. وعندما عاد «بيليكوف إلى بلاده قدم إلى «طناشى» خلفه «فيكتور» ومساعده «يورى»

واستطاع الجاسوس طناشى أن يدخل إلى القاعدة بواسطتهما ويتجول داخلها وينقل المعلومات إلى الآنسة «سو» فى مبنى القنصلية الأمريكية بالقاهرة.

ومن أهم المعلومات التى قدمها طناشى إلى الجاسوسة الأمريكية أن الطائرات المصرية داخل مخازن خرسانية لوقايتها من الهجمات المعادية وأن الفكر الدفاعى يسيطر على العاملين بالقوات الجوية المصرية. وقللت تقارير طناشى كثيراً من قيمة أجهزة الرادار المصرية ونقل إلى الجاسوسة الأمريكية تأكيدات الخبراء السوفييت عن وجود أجهزة رادار فى روسيا تتفوق كثيراً على الأجهزة التى حصلت عليها مصر.

وأهم فقرة فى آخر تقرير قدمه الجاسوس عن مصر قبل القبض عليه تقول :

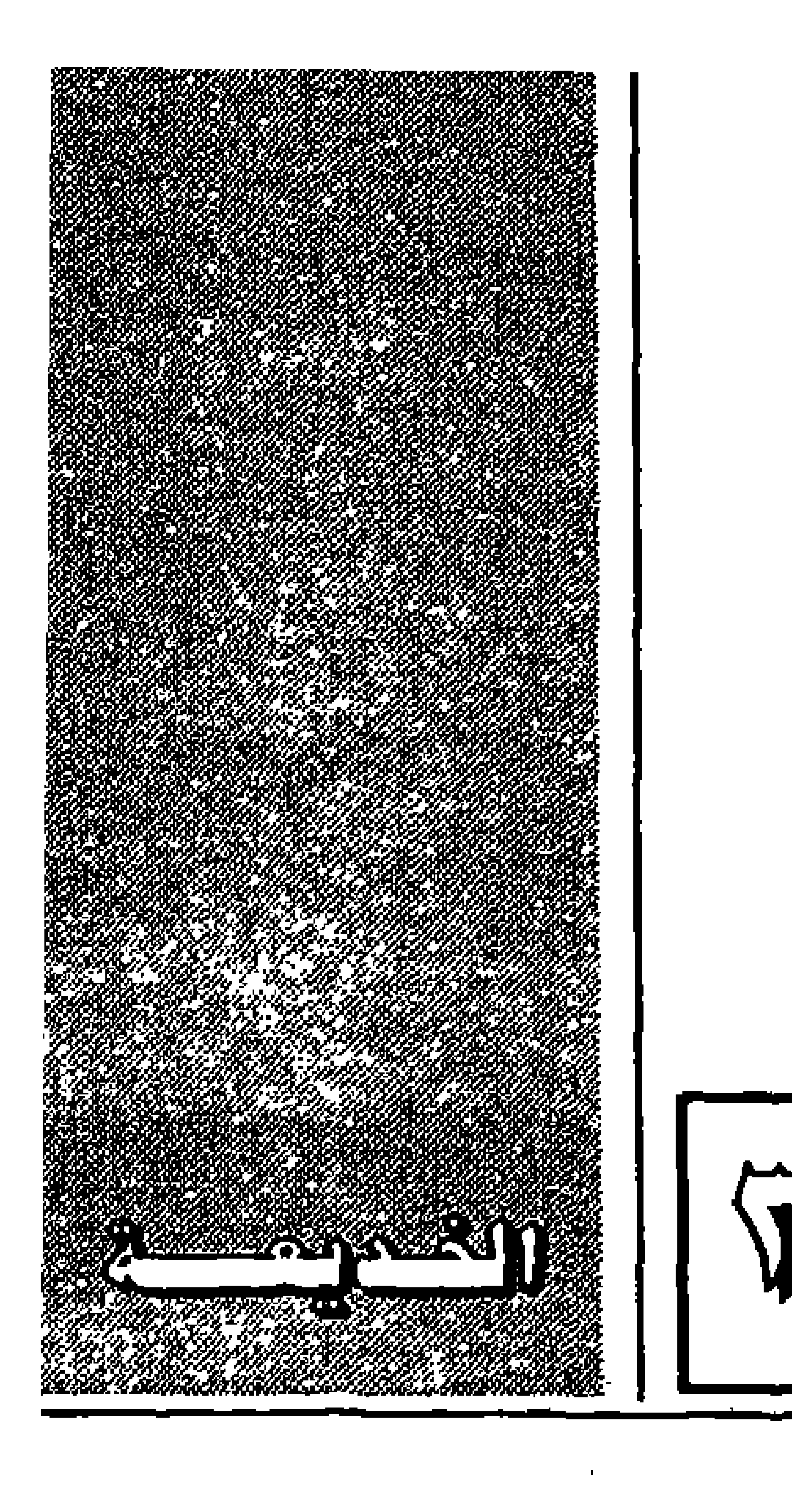
«إن المصريين غيرمستعدين وغير قادرين وغير جاهزين للحرب.. وقد يمر وقت طويل جداً قبل أن يصبحوا قادرين على استئناف القتال من جديد». ونقل الجاسوس هذه التأكيدات أكثر من مرة على لسان أصدقائه من الخبراء السوفييت العاملين فى مصر».

وتم القبض على طناشى وعلى الجاسوسة الأمريكية - سو آن هاريس - وأكدت التحقيقات أن هذه المعلومات كانت تنقل إلى الولايات المتحدة أولاً بأول ، وأنه من المؤكد أنها كانت تجد طريقها إلى تل أبيب فى إطار اتفاقيات التعاون فى مجال المعلومات.

وتم استدعاء الجنرال أوكينيف ـ كبير المستشارين الروس فى مصر ـ وإبلاغه بالأمر وبتعليمات الرئيس أنور السادات بعدم إثارة الموضوع بصورة علنية وترك الأمر للسوفييت ليعالجوه بطريقتهم والتصرف مع الأفراد الذين قاموا بتسريب هذه المعلومات مع اتخاذ الإجراءات المناسبة التى تضمن عدم تكرار مثل هذا الحادث.

وقبل أن يمضى أسبوع واحد على القبض على الجاسوسة الأمريكية وعميلها طناشى أصدر الرئيس أنورالسادات أمراً بالافراج عنها وترحيلها إلى بلادها.

وكانت كلمة «كتر خيرها» هى أبلغ ما يعبر عن دورها الذى لم تتعمده والذى ساهم فى الخداع الاستراتيجى للعدو.



٣

إسرائيلى يشترك فى التخطيط للعبور

- كتاب «الأعياد اليهودية فى إسرائيل» المرجع الرئيسى لتحديد ساعة الصفر
- أعضاء المجلس الأعلى السورى وصلوا الإسكندرية سرا فى هيئة سائحين
- حائط الصواريخ المصرى ينتقل إلى سيناء فوق أكتاف الجنود
- رحلة الأسد السرية إلى موسكو

لم يقدر أحد من أفراد الدورية قيمة هذا الإسرائيلى الشاب الذى عادت به دوريتهم من مغامرتها الليلية لخطف أسير من شرق القناة. لقد اكتشفوا عند استجوابه أنه مهندس فنى يعمل فى صيانة خزانات الإشعال الموجودة داخل النقاط

الحصينة لخط بارليف، وإنه يأتى ضمن مجموعة الصيانة الدورية لهذه الخزانات وخراطيمها الممتدة إلى مياه القناة وأجهزة الإشعال المتصلة بها.

وكانت القوات الخاصة تقوم بالتسلل إلى شرق القناة فى دوريات للاستطلاع ، تتحول أحياناً إلى دورية خطف أسير تعود به إلى الضفة الغربية للقناة لاستجوابه وإرساله إلى القاهرة لاستكمال عمليات الاستجواب. وكانت هذه الأعمال تتكرر حتى أنها كادت تصبح عملاً روتينياً.

ولا توجد حتى الآن معلومات محددة عن إطار التعاون بين العملاء فى سيناء المحتلة وبين عناصر الاستطلاع ـ وربما لن تتوافر هذه المعلومات أبداً ـ لكن المؤكد أن عمليات خطف الأسرى تكررت وحققت نتائج طيبة.. ومنها ما كان عندما اكتشف

ضابط الاستطلاع المصرى أن الأسير القادم من الشرق يعمل فى صيانة خزانات البترول المتصلة بالضفة الشرقية لقناة السويس.

واستطاع هذا الشاب الإسرائيلى أن يرسم بدقة شكل الخزانات التى يعمل فى صـيانتها، وأن يحـدد أماكنها والعمق التى تخـتفى داخله ومكان وطول الأنابيب التى تنقل محتويات الخزان إلى مياه القناة ، وكـيف أنهـا ستطفـو فـوق السطح وكـيف يتم إشـتعالهـا ليتحول سطح القناة إلى حرائق متأججة في مواجهة من يعبرها.

وتم وضع هذه الرسـومـات والبـيانات تحت تـصرف سـلاح المهندسـين مع التقارير التى أعدتهـا الضفادع البشـرية بعد عدة عمليـات استطلاع من تحت سطح الماء لهـذه الخزانات وفتحـاتها المتصلة بمياه القناة.

وأثبتت عمليـات المقارنة والمضاهاة صـدق الشاب الإسرائيلى الذى بقى معتقلاً فى القـاهرة ليكون تحت تصرف المهندسين إذا أرادوا مناقشته فى أى تفاصيل فنية.

وكـان المطلوب هو وضـع خـطة تبطل فـاعليـة هذه الخـزانات وتمنع إشـعال النيران فـوق ميـاه القناة على أن تكون هذه الخطة بسـيطة على قـدر الإمكان وسهلة التـنفيـذ ويمكن لعـدد قليل من الأفراد القـيام بها دون أن يشعـر بهم العدو إلي أن يفاجـأ بقوات العـبور فـوق قناة السويس وخـزانات نيـرانه معطلة عن العـمل. وعندمـا يتم إعـداد هذه الخطة سـيكون من السـهل تدريب بعض عناصر الـضفادع البـشرية والصـاعقة عـلى تنفيذها فـى توقيت مناسب قبل بدء العـمليات ، حتى لا يكتـشف العدو الأمر ويعـيد

إصلاح تجهيزاته ويتنبه إلى الخطة المصرية.

ولم يكن ذلك وحده ما يشغل خبراء سلاح المهندسين فى تلك الليلة، وإنما كانت هناك مجموعات أخرى تعمل على نماذج المعابر العائمة والكبارى وقياس الزمن الذى تستغرقه كل مرحلة من مراحل إعداد الكوبرى ونصب المعابر إلى أقرب دقيقة.

وتلقت مجموعة أخرى نتائج تحليل الرمال التى يتكون منها السد الترابى شرق القناة بعد أن انتهت عمليات تحديد مكونات هذه الأتربة وأنسب أنواع الطلقات التى يمكن لها أن تخترق السد الترابى.

وتماثلت نتائج التحليل مع نتائج تحليل عينات أخرى، تم احضارها من جزيرة البلاح من نواتج أعمال تعميق وتطهير قناة السويس. وثبت أن مكونات نواتج التطهير الموجودة فى جزيرة البلاح مماثلة لمكونات الساتر الترابى الذى أقامته إسرائيل إمام مواقعها الحصينة شرق القناة. وتم فتح ملف التجريف الذى سبق إعداده.

وكانت بيانات الملف مصدر سعادة بالغة لمجموعة العمل التى تعد خطة التعامل مع هذا الساتر الترابى. ومصدر هذه السعادة يرجع إلى وجود نواتج التطهير بين أيدينا حيث أن جزيرة البلاح تحت السيطرة الكاملة للقوات المصرية، لكن الأهم من ذلك بكثير أن هناك تجارب سابقة على التعامل مع هذه الأتربة قد تمت بنجاح فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر وأثبتت إمكانية التغلب على هذا الساتر الترابى بسرعة وفاعلية، بشرط تماثل مكونات

السد الترابى مع مكونات نواتج تطهير القناة الموجودة فى البلاح. وترجع أحداث هذه الخطة إلى عامين سابقين عندما كانت هيئة قيادة الفرقة ١٩ مشاه تناقش دورها فى خطة الإعداد للعبور وكيفية نقل فرقة مشاه - بكامل معداتها ومركباتها - إلى شرق القناة. وكان ضمن المجتمعين ضابط برتبة مقدم اسمه «عبدالباقى» وكان يشغل منصب قائد فرع المركبات بالفرقة ١٩ مشاة.

وكان المقدم عبدالباقى قد انتدب من قبل للعمل فى السد العالى وشهد هناك عملية تجريف رمال الجبال باستخدام المياه المضغوطة. وشرح ما رآه فى السد العالى عام ١٩٦٤ - أى منذ ٨ سنوات - عندما كان يتم التجريف بواسطة مضخات رفع مياه النيل ودفعها بقوة فى خراطيم يتم تسليطها على رمال الجبال التى يسهل بعد ذلك شفطها.

وكان الأمر بالنسبة للسد الترابى شرق القناة يبدو أسهل كثيراً مما كان في السد العالى لأننا لن نحتاج إلى إعادة شفط الرمال وإنما ستنساب تلقائيا إلى القناة مع المياه المنطلقة من الخراطيم، لتنفتح الثغرات وتعبر منها المركبات والمدرعات إلى سيناء.

وربما ساعدنا العدو كثيراً فى هذا المجال عندما قام باستكمال السد الترابى وجعله ملاصقاً لحافة القناة الشرقية بهدف مضاعفة صعوبة تسلقه. لكنه لم يكن يدرى أن ذلك سيساعد كثيراً على انسياب نواتج التجريف إلى قاع القناة، خاصة مع زيادة زوايا الميل للجانب الغربى من الساتر الترابى.

وظلت المعضلة القائمـة هى كيفية توفير مضــخات دفع المياه بهذه القوة أمام مواقع معادية وفى وقت قـصير كل دقيقة منه لها ثمن باهظ. والأهـم من ذلك مـصـدر الطاقـة التـى سـتـدير هذه المضخات القوية.

ولم يكن مطلوباً من المـقدم عبدالبـاقى ولا ممن شاركوا مـعه يومها فى هذا الاجتماع حل هذه المعضلة. وقبل البحث عن حلول لهذه المسألة، فكر قائد الفرقـة فى إجراء تجربة علي نواتج تطهير القناة المتراكمة فى جزيرة البـلاح. وتم توفير طلمبات ضغط عال تعمل بالطاقـة الكهربائيـة ،وتحميلهـا على براطيم عائمة لتـشفط المياه من القناة وتدفـعها فى خراطيم ذات مخارج معـدنية متينة. وحققت التجربة نجاحاً كبيراً وانسابت الرمال مختلطة بالمياه إلى قاع القناة.

وأرسل اللواء سعـد زغلول قائد الفـرقة ١٩ مـشاة ـــ فى ذلك الوقت ـــ بنتـائج تجـاربه إلى القـيـادة العـامـة وأبلغ بهـا وزير الحربية. وتم يومـها نقل التفاصيل إلى الرئيس جمـال عبدالناصر الذى طلب مـواصلة التجارب وتحـديد المعـدات المطلوبة ووضع تقييم تفصيلى للنتائج.

ومـضت الشهـور. وعندمـا حان مـوعـد وضع خطط العبـور موضع التنفيذ ،تم فتح ملف التـجريف من جديد على ضوء نتائج تحليل مكونات رمال الســد الترابى الذى أقامه العـدو شرق القناة ومقـارنتهـا بنتائج تحليل مـكونات رمال نواتج الحـفر والتطهـير الموجودة فى جزيرة البلاح.

وقبل أن يعقد الرئيس السادات اجتماع المجلس الأعلى فى بيته كانت تجربة أخرى قد تمت فى جزيرة البلاح بهدف تحديد المعدات المطلوبة ووضع خطة تدريب الأفراد على تجريف رمال الساتر الترابى باستخدام مياه القناة.

وبدأ ملف التجريف يكتمل بتقرير سبق أن أعدته وزارة السد العالى عن أسلوب التجريف الذى اتبعوه فى أسوان مدعماً بالصور. واستطاع سلاح المهندسين أن يضع مواصفات مدافع المياه التى سيستخدمها الجنود يوم العبور، بحيث تكون أصغر كثيراً من المعدات التى استخدموها فى السد العالى، وأن تعمل بالوقود حيث لن تتوافر الكهرباء مثلما توافرت في مواقع العمل بالسد العالى. وبدراسة قدرة البراطيم العائمة على حمل الطلمبات الميكانيكية التى تعمل بالوقود، وقوة المياه المندفعة، ثبت نجاح الفكرة وأصبح هناك مدفع مياه يستطيع فتح الثغرة الواحدة فى الساتر الترابى فى زمن قياسى يفوق كل الوسائل التقليدية الأخرى ومنها القصف والتفجير.

وانتقلت عمليات التدريب إلى مواقع أخرى مختلفة كان من بينها نماذج معدة للتدريب على شواطىء بحيرة قارون بالقرب من الفيوم، وفى جزر ترابية وسط نهر النيل.

وانطلقت خطط التدريب على جميع مراحل العبور لتوضع موضع التنفيذ على مستوى الفرق والألوية والكتائب.

وبدأت فى الوقت نفسه مجموعات الخداع فى وضع خطط الخداع التكتيكى لتكمل الخداع الاستراتيجى الذى كان قد بدأ يأتى

بنتائج مـشجعـة. وبدأت مجموعـة العمليات بقـيادة اللواء محـمد عبدالغنى الجـمسى فى دراسة المواعيـد وأنسب الأيام والساعات للمعركة بالتنسيق الكامل مع القيادة السورية.

وبدأت رحلة تحـديد الأيام المناسـبـة في مكتب رئيس هيـئـة العمليات عندما وقـف أمامه العقيد صلاح فهـمى ضابط التخطيط بهيـئة العمليات ، ليـعرض عليه التـقرير اليومى وملخص ما تبـثه إذاعـات العــالم عن المـوقف الدولـى وكل مـا يتـعلق بـمـصـر وبإسـرائيل.

ونظر إليه اللواء الجـمسى طويلاً.. واستمـرت لحظات الصمت حتى قطعهـا اللواء الجمسى قائلاً : «ياصلاح.. هناك كـتيب أعدته المخابرات العـامة وطبعتـه بعنوان «الأعياد والمناسبـات اليهودية فى إسـرائيل»، هات الكتاب ده وادرسه جيداً..

وكانت هناك أكثر من نسخة فى مكتبة هيئة العمليات. ولم يكن من الصعب على العقيد صلاح أن يستنتج أن الهدف هو البحث عن يوم مناسب للعبور.

لقد أصـبح اقتراح اليوم المـحدد للحرب مسـئولية سبـعة من الضـباط المـصريين يشـكلون فرع التـخطيط بهـيئـة العمليـات، وتنحصر اتصالاتهم داخل دائرة منغلقـة تماماً عليهم وعلى رئيس هيئة عـمليات القوات المسلحة، تـنحصر رتب معظمهم بين عـقيد ومقدم ويرأسـهم عميد يخـضع مباشرة لرئاسة الـلواء الجمسى. وهؤلاء الضباط السـبعة يتمـتعون بهدوء الأعصـاب والقدرة على التركيز العميق، وتحليل المعلومـات والرؤية المستقبلية الواضحة

والتعاون الكامل والفكر المشترك الذى يحقق التفاهم الكامل للعمل بروح الفريق.

لقد صدر التوجيه السياسي من رئيس الجمهورية إلى وزير الحربية ببدء الحرب فى اليوم المناسب، اعتباراً من النصف الثانى من هذا العام ١٩٧٣.. والأيام تمر سريعاً والعمل لا يتوقف فى كل أفرع القوات المسلحة. ودخلت مجموعة العمل التى تضم أعضاء فرع التخطيط بهيئة العمليات فى سباق مع الأيام. ووصلت الآن إلى مرحلة البحث عن اليوم المناسب فى الجبهتين المصرية والسورية..

والبحث المنطقى يقتضى تحديد أنسب الشهور ثم أنسب الأيام فى الشهر الذى يقع الاختيار عليه.

وفى مجال الإعداد القتالى والتسليحى كانت الخطة قد اكتملت بتعلية السد الترابى على الضفة الغربية للقناة ليحجب جزئياً قدرة العدو على متابعة ما يجرى على الجبهة المصرية.

وتصور العدو أن هذا الساتر معد لصعود الدبابات عليه وإطلاق قذائفها من فوقه ثم الاحتماء خلفه. ولم يكن ذلك يشكل تعمية كافية لاستطلاعات العدو الذى اعتمد على التصوير الجوى بواسطة طائرات الاستطلاع. وهذا أدى إلى متابعة العدو لكل مراحل بناء حائط الصواريخ الدفاعى غرب القناة والذي يتحمل المسئولية الرئيسية فى التصدى لغارات العدو الجوية. وساعد ذلك على اطمئنان العدو إلى عدم قدرة القوات المصرية على العبور، لأن حائط الصواريخ لا يوفر غطاءً فى عمق سيناء وإنما

تقتصر قدراته على الجوانب الدفاعية بصورة أساسية.

ولم يعمل العدو حساباً للصواريخ المضادة للطائرات ـ أرض جو ـ المحمولة بواسطة الأفراد والتى تمثل امتداداً حقيقياً لحائط الصواريخ المصرى الذى انتقل إلى أرض سيناء فوق أكتاف الجنود فى شكل الصواريخ «سام».

وكانت مفاجأة للعدو لا تقل عن المفاجآت الأخرى التى تحققت بواسطة الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات ـ أرض أرض ـ والتى كانت ضمن خطة الخداع التعبوى.

وكانت سائر المؤشرات تؤكد سوء العلاقات المصرية ـ السوفيتية خاصة في مجال التسليح.. ولم يعرف أحد شيئاً عن الزيارة السرية التى قام بها الرئيس السورى حافظ الأسد إلى موسكو بهدف تحسين هذه العلاقات دون أن ينعكس ذلك على ما ينشر أو يذاع.

وبعد نجاح رحلة حافظ الأسد السرية إلى موسكو توالى سفر عدد من كبار القادة العسكريين المصريين ـ ومنهم وزير الحربية نفسه ـ وأسفر ذلك عن عقد صفقتى سلاح وقطع غيار لم يعرف عنهما العالم شيئاً. وكان من المهم بقاء تفاصيل هذه الأسلحة سراً، لكن الأهم أن مواعيد تسليمها كانت جميعها قبل أكتوبر ١٩٧٣.

وهذا كان من بين العوامل التى تم الاستناد إليها عند تحديد موعد العبور المقترح. وكانت هناك دفعة قوية إضافية فى صفقة أسلحة ثالثة أطلق عليها القادة اسم «صفقة مارس»، والتى جاء

موعد تسليمها ليسبق الحرب بفترة قصيرة. وترجع أهمية «صفقة مارس» إلى أنها كانت إضافة للتسليح الذى تعتمد عليه خطة العبور.

والسبب فى تسمية «صفقة مارس» يرجع إلى أنها تمت في موسكو في شهر مارس ٧٣ ووقعها هناك وزير الحربية الفريق أحمد إسماعيل وسبقتها زيارة مهمة قام بها سراً إلى القاهرة وفد عسكرى سوفيتى برئاسة الجنرال لاشنكوف واستمرت من ٥ إلى ١٢ فبراير ١٩٧٣ وتم خلالها التوصل إلى اتفاق بشأن الصفقة الإضافية الذى وقعها أحمد إسماعيل فى موسكو.

وتم تدريب الطيارين المصريين فى الاتحاد السوفيتى خلال شهرى مايو ويونية ١٩٧٣. كما شملت الصفقة الإضافية ما أشار إليه الرئيس السادات فى بعض خطبه قائلاً: إننى قبل أن أحارب لابد أن أضع «الإلكترون» فى يد أبنائى. وكان ذلك مثاراً للنكات التى لابد أنها تسربت إلى مخابرات العدو، دون أن يدرى أحد أن المقصود بوضع الإلكترون فى يد الجنود هو الأخذ بفنون الحرب الالكترونية التى لم تكن معروفة للعامة من الناس فى ذلك الوقت، والتى انعكست على مسرح العمليات فى صورة سرب للاستطلاع والإعاقة الإلكترونية لم يعمل العدو حساباً له.

واكتملت أمام القيادة العامة للقوات المسلحة صورة القوات المصرية الجاهزة للعمل والتى يمكن بها شن حرب هجومية مفاجئة وواسعة بطول جبهة قناة السويس مع توفير قوات الاحتياط والدفاع عن العمق الاستراتيجي.

وكانت هذه القوات تمثل حشداً كافياً لتحقيق خطة العبور طبقاً للاحتياجات رغم أن فلسفة الإعداد للعبور استندت فى بدايتها إلى حتمية الحرب بما يتوافر من إمكانيات وليس بما يجب أن يكون.

وهكذا التقى التوجيه السياسى للقائد الأعلى بحتمية الحرب مع الإعداد العسكرى للمعركة. وباستكمال الاعداد بدأت مرحلة اختيار التوقيت وتحديد اليوم (ى) ولحظة البدء (س) مع تنفيذ خطط الخداع التكتيكى المكملة للخداع التعبوى وما سبقها من خداع إستراتيجى.

وبينما كان العقيد صلاح يعكف على دراسة كتيب «الأعياد والمناسبات اليهودية فى إسرائيل» كانت هناك دراسات أخرى أمام الضباط السبعة في فرع التخطيط بهيئة العمليات وصورة أخرى أمام اللواء الجمسى رئيس الهيئة.

كان الهدف من تلك الدراسات البحث عن أفضل شهور السنة لاقتحام القناة من حيث حالة المد والجزر وسرعة التيار البحرى واتجاهه. ولم يكن فى ذلك متغيرات كثيرة تختلف من شهر إلى آخر في مدى تأثيرها على وسائل العبور بالقوارب وعلى إقامة وتشغيل المعديات والكبارى. إن الفرق في المنسوب بين أعلى مد وأعلى جزر هو ٨٠ سنتيمترا فى القطاع الشمالى للقناة يصل إلى مترين فى القطاع الجنوبى من الإسماعيلية حتى السويس. وسرعة التيار فى القطاع الشمالى ١٨ متراً فى الدقيقة تقفز إلى ٩٠ متراً فى الدقيقة بالقطاع الجنوبى. واتجاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال للجنوب وبالعكس.

وكانت هذه الظواهر الطبيعية تؤثر على وسائل العبور بالقوارب وعلى إنشاء وتشغيل المعديات والكبارى، وهو ما كان فى الاعتبار عند وضع الخطط القتالية للجيشين الثانى والثالث. أما عن التوقيت فقد كان العامل الأهم هو اختيار يوم يتميز بطول ليله، ويكون فى شهر من الشهور التى لا تتعرض لتقلبات جوية شديدة تؤثر على تحرك القوات.

ولاكتمال عنصر المفاجأة امتدت الدراسة إلى البحث فى العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم العطلة الأسبوعية وهو السبت.

وبدأ شهر أكتوبر ٧٣ يبرز من وسط كل الاحتمالات التى تجرى دراستها. إنه فى الثلث الثالث من العام وهو داخل الإطار الزمنى الذى حدده الرئيس السادات للعبور. وهو من الشهور التى تجرى فيها مناورات الخريف المعتادة مما يجعل التحركات العسكرية تتم تحت ستار المناورات والمشروعات التدريبية.

وفى هذا الشهر - أكتوبر ٧٣ - يوجد ثمانية أعياد يحتفل بها الإسرائيليون ومنها عيد الغفران - المعروف باسم يوم كيبور - وعيد المظلات وعيد التوراة. وتطرقت الدراسة إلى طريقة الاحتفال بكل عيد من هذه الأعياد ومدى تأثيره على إجراءات التعبئة فى إسرائيل.

وفى عيد الغفران - يوم كيبور - وهو يوم السبت - ستتوقف الإذاعة والتليفزيون فى إسرائيل عن العمل وهو يوم صيام وسكون كامل. وهذا يعنى استحالة استخدام الإذاعة والتليفزيون

فى استدعاء قـوات الاحتياط. وحتى إذا تم تشغـيلها فإن أحداً لن يستـمع إليهـا، لأن الناس تعرف أن الإذاعـة والتليفـزيون لا تبث شيئاً فى هذا اليـوم. وستضـطر القيادة الإسرائيليـة إلى استخدام وسائل أخرى تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم تعبئة الاحتياط.

وهذا الوقت الطويل هو المطلوب بالنسبة لقوات العبور.

وفى هذا اليـوم سيكون ضـوء القمـر ظاهراً فى النصف الأول من الليل لأنه يوم العـاشر مـن الشهـر القمـرى، كمـا أن النصف الثانى من الـليل سيكون مظلماً. وهذا ينـاسـب تماماً خطة العـبور بحيث تنتهـى وحدات المهندسين من إنشاء وتركـيب الكبارى فى ضـوء القـمر ليستـمر تدفق العبـور بالأفراد والأسلحة والمـعدات تحت جنح الظلام.

وسيصـادف يوم السادس من أكتوبر اليوم العاشـر من شهر رمضان وهو شـهر الصيام فى مصـر مما يساعد على خداع العدو ويتيح الفرصـة لتمثيل وافتـعال احتفالات مع إبراز الإنشـغال بها والتكاسل والاسترخاء.

وسـينشغل الرأى العـام فى إسـرائيل كثـيـراً مع بداية شهـر أكتوبر بالـحملات الانتخابيـة التى ستكون على أشدها اسـتعداداً ليوم التصويت فى الانتـخابات البرلمانية للكنيسـيت والمحدد لها ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م.

وبالنسبـة للجبهـة السورية كـان هذا اليوم مناسبـاً ولا يجوز تأخيره عن بدايات أكتوبر، حـتى نتجنب موسم البرد الشديد وبدء تساقط الجليد.

واكتملت العناصر الملائمة فى يوم السبت السادس من أكتوبر الذى تسبقه أعياد إسرائيلية ويصادف عيد كيبور وتتوقف فيه الحياة فى إسرائيل وحالة الطقس تناسب الجبهتين المصرية والسورية، ويصادف شهر الصيام الذى تستبعد فيه إسرائيل قيام عمليات عسكرية خلاله.

وسيكون فرق المنسوب بين المد والجزر فى القناة أقل ما يمكن، مما يتيح أنسب الظروف لعبور القوارب وتشغيل المعديات وعمليات بناء الكبارى.

وانطلاقاً من ذلك بدأ التنسيق مع القيادة السورية وتقرر عقد اجتماع مشترك لأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى كل من مصر وسوريا للإتفاق على جداول العمليات وتوقيتها والتنسيق الكامل بين الجبهتين مع التحديد النهائى لليوم (ى) وساعة الصفر (س).

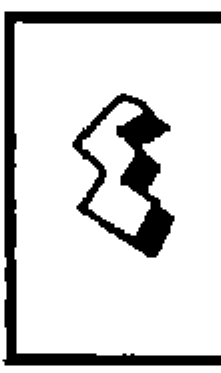
وجرت الاتصالات بين القاهرة ودمشق لتحديد مكان وموعد الإجتماع، ووسائل تأمينه والحفاظ على عناصر السرية التامة التى يجب أن تحاط بتحركات أعضائه.

واتفقوا على أن يكون مكان الاجتماع فى الإسكندرية وأن يحضر أعضاء المجلس العسكرى السورى إلى هناك متنكرين فى هيئة سائحين وبأسماء منتحلة وبأوراق غير حقيقية.

وتحقق ذلك داخل سفينة ركاب سوفيتية رست بجوار رصيف خاص بميناء الإسكندرية فى تمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم

الجمعة ٣١ أغسطس ١٩٧٣، وعلى سطحها ٦ سائحين في ملابس خفيفة ذات ألوان زاهية تناسب جو صيف الأسكندرية الحار المفعم برطوبة أغسطس.

وكان في انتظارهم رجل رشيق يبدو فى سن الشباب ويرتدى ملابس شبابية يبدو بها وكأنه مندوب شركة سياحية جاء ليستقبل مجموعة من السائحين. لكن أحداً لم يكن يتصور أنه في الحقيقة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية - الفريق سعد الدين الشاذلى.



مصر تطلب من الدول العربية تأييد الحل السلمى

• خطة الهجوم بسبع فرق تتستر وراء مواقعها الدفاعية

• مدير مخابرات اسرائيل: لن نستدعى الاحتياط ولن نرقص على أنغام المصريين

• السادات والأسد قررا تخفيض العد التنازلى للحرب الى ١٥ يوماً

بعيداً عن العيون كان الاعداد للمراحل النهائية من الخطة الهجومية يجرى بسرعة وبكثافة كبيرة.

وقبل أن تكتمل الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢١ أغسطس ١٩٧٣ كانت سفينة ركاب صغيرة ترفع العلم السوفيتي ترسو على رصيف خاص فى ميناء الأسكندرية. ورغم أن السفينة كانت سوفيتية الصنع وترفع العلم السوفيتي، لكن أحداً فى الاتحاد السوفيتي أو فى غيره لم يكن يعرف أن على سطحها ستة ضباط عظام ينتمون الي القوات المسلحة السورية، وأن رحلتهم الى الأسكندرية يتوقف عليها مصير الحرب فى الشرق الأوسط.

كل شيء كان يبدو طبيعياً. وليس هناك في هذه السفينة ما يثير الانتباه أو يلفت الأنظار. لقد كان من الطبيعى أن يزور مصر سائحون سوفييت ولم يكن لغيرهم من أوروبا أو من غيرها أن يأتوا الى الأسكندرية للسياحة فوق باخرة سوفيتية، بعد أن انكمشت الحركة السياحية الى مصر من كل دول العالم ما عدا الكتلة الشرقية وسائحيها المتواضعين. وكل من على سطح هذه السفينة كان يرتدى ملابس مدنية خفيفة تناسب حر أغسطس، وكان منهم من يضع قبعات أو كاسكيتات للوقاية من الشمس.

ولم يكن هؤلاء السائحون سوى أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية يتقدمهم اللواء مصطفي طلاس «وزير الدفاع» واللواء يوسف شكور «رئيس أركان حرب القوات المسلحة السورية» واللواء ناجي جميل «قائد القوات الجوية والدفاع الجوى» واللواء حكمت الشهابى «مدير المخابرات الحربية» واللواء عبدالرزاق الدرديرى «رئيس هيئة العمليات» والعميد فضل حسين «قائد القوات البحرية».

ودون أية اجراءات أو مراسم تلفت الأنظار وجد الضيوف الستة طريقهم الى نادى الضباط بالأسكندرية، حيث أعد مقر اقامتهم. وتأكد لكل من يعمل فى نادى الضباط أن هؤلاء مجموعة من الخبراء السوفييت فى زيارة قصيرة لمصر.

وبعد فترة راحة تخللتها وجبة خفيفة بدأ كل واحد من القادة يخرج على حدة ليصلوا جميعاً على الانفراد الواحد تلو الآخر الى مقر قيادة القوات البحرية فى قصر رأس التين، حيث كان يتوالى وصول سبعة من القادة المصريين. واكتمل العدد ١٤ ضابطاً بوصول اللواء بهى الدين نوفل رئيس أركان حرب القيادة المصرية ـ السورية الاتحادية.

وكان القادة المصريون السبعة هم الفريق أول أحمد اسماعيل «وزير الحربية» والفريق سعد الدين الشاذلى «رئيس أركان حرب القوات المسلحة» واللواء محمد على فهمى«قائد الدفاع الجوى» واللواء حسنى مبارك «قائد القوات الجوية» واللواء فؤاد ذكرى «قائد القوات البحرية» واللواء عبدالغنى الجمسى «رئيس هيئة العمليات» واللواء فؤاد نصار «مدير المخابرات الحربية».

واكتمل بذلك المجلس الأعلي للقوات المسلحة المصرية ـ السورية ليبدأ اجتماعه التاريخي.

وتولى اللواء بهى الدين نوفل أعمال السكرتارية لهذا المجلس ولم يسمح فيه بالتسجيل أو بدخول أية أجهزة الكترونية. وكان اللواء الجمسى وحده يكتب الملاحظات ومشروع القرارات ليقدم فى النهاية نسخة منها الى وزير الحربية المصرى ونسخة مماثلة لوزير الدفاع السورى.

وظهرت فى هذا الاجتماع نقاط خلاف كثيرة رغم الاتفاق التام على الخطوط الرئيسية.

ان الجانبين المصرى والسورى يعملان معاً على أساس تعليمات القيادة السياسية فى البلدين، والتى تقضى بشن عملية هجومية واسعة على الجبهتين، قبل نهاية أكتوبر تجنباً لموسم الجليد فى الجبهة السورية. والجميع اتفقوا على أن القوات المسلحة فى الدولتين جاهزة لتنفيذ المهمة المسندة اليها، وأعلنوا أنهم ينتظرون القرار السياسى ببدء الهجوم فى الموعد الذى يصدق عليه الرئيسان.

لكن اليوم والساعة ظلا موضع جدل.

كان هناك اقتراح سورى ببدء العمليات فى يوم من أيام الأسبوع الثانى من سبتمبر ما بين ٧ و١١ من ذلك الشهر. وكان الاقتراح الثانى يحدد يوم الهجوم (ى) ما بين ٥ و١١ أكتوبر. وكان أنسب هذه الأيام بالنسبة للجبهة المصرية هو السادس من أكتوبر.

وتفرعت المناقشات بين الجانبين لتتناول تفاصيل كثيرة اختلفت حولها وجهات النظر مما ترتب عليه مد الاجتماعات وتكثيفها حتى استمرت لمدة ستة أيام متواصلة. وتم تحديد فترة العد التنازلى للهجوم بعشرين يوماً تبدأ باليوم (ى ناقص ٢٠) أى قبل يوم الهجوم (ى) بعشرين يوماً. ورأى الجانب السورى أن الأمر يقتضى خمسة أيام؛ لتفريغ معامل تكرير البترول فى حمص؛ حتى لا تتعرض للقصف المعادى وهى مليئة بالبترول مما يشكل كارثة محققة.

وحول ساعة الصفر (س) اقترح الجانب المصرى أن تكون بعد الظهر حيث يكون قرص الشمس قد مال نحو الغرب وأصبحت أشعتها خلف المدفعية المصرية ووراء القوات وفي مواجهة العدو الذى سيكون قرص الشمس أمامه مما يمثل مصدر تفوق للجانب المصرى. لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للجبهة السورية لأن القوات السورية تتجه فى عملياتها نحو الجنوب الشرقي. ولذلك يفضل الجانب السورى أن يبدأ هجومه صباحاً لتكون (س) أى ساعة الصفر مع أشعة الفجر الأولى.

واقترح الجانب المصرى تعديل الخطة لتبدأ القوات السورية هجومها مع الفجر وتنطلق القوات المصرية بعد الظهر. واعترض الجانب السورى على ذلك حتى لا يواجه وحده النشاط الجوى الاسرائيلى لعدة ساعات مع احتمال قيام العدو بهجوم مضاد على الجبهة السورية قبل أن يتجه الى الجبهة المصرية. كما أن اختلاف (س) سيفقد الخطة مزايا الهجوم المفاجيء على جبهتين في وقت واحد.

ودرس المجتمعون فكرة أن تقوم القوات المصرية بالهجوم بعد ظهر اليوم (ى) وتؤجل ساعة الهجوم من الجبهة السورية الى فجر اليوم التالى. (ى. زائد واحد). لكن هذا الاقتراح تم استبعاده لاعتبارات سياسية باعتباره سيجعل الصورة تبدو كأنها حرب مصرية بدأتها مصر ولحقت بها سوريا فضلاً عن فقدان عنصر الحرب المفاجئة من جبهتين في وقت واحد.

وقبل أن يتم حسم نقاط الخلاف والتوصل الى تحديد موحد لليوم (ى) وساعة الهجوم (س) كان الرئيس أنور السادات قد بدأ جولة في عدة بلاد عربية، لتشكل فى حد ذاتها آخر حلقات الخداع الاستراتيجى وبداية مراحل أخرى من الخداع. اتجه الرئيس السادات أولاً الى المملكة العربية السعودية؛ ليجتمع مع الملك فيصل، وترك انطباعاً بأنه يبحث فى الزيارة عن دعم سياسى سعودى فى مجال الحل السلمى. وكانت الجهود الدبلوماسية تتكامل مع النشاط الاعلامى فى أوروبا وفى دوائر الأمم المتحدة بنيويورك بقصد تحريك الجهود الدبلوماسية في اتجاه الحل السلمى، وحرص مصر على إعادة إحياء المبادرات السياسية. وتلقى وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر أكثر من اتصال يهدف الى تحركه على المستوى الشخصى بعد أن انتهى موسم الإجازات الصيفية على أمل أن تجد مصر مخرجاً من ذلك الطريق المسدود التى وجدت نفسها فيه وهى تدور حول دائرة مفرغة.

وفى قطر بحث الرئيس السادات مجالات التعاون المشترك بصورة تسمح بتسرب معلومات عن تفاقم الأزمة المالية في مصر، وعدم قدرتها على الحصول على سلاح وقطع غيار نتيجة

نقص احـتياطيـات العملـة الصـعبـة وتوتر العـلاقات المصــرية ـ السوفيتية.

وفى ختام جـولته طار الرئيس السادات الى سوريا للاجـتماع بالرئيس حـافظ الأسـد. وتم تسـريب مـعلومـات وتحليـلات الى صحف عربية خليجيـة ولبنانية حول طلب السادات وساطة الأسد في تحسين العلاقات المصرية ـ السوفيتية.

ورغم كل ما فى هذا من خـداع يجعله مخالفـاً للحقيقـة تماماً، فان الأمـر كان له بعـض الانعكاس السلبى على الجبـهة الداخلـية المصرية وعلى الرأى العام فى مصر.

ولم يكن أحـد يعلم أن الســادات عندمـا بدأ هذه الجـولة كـان المجلس الأعلى للقوات المـصرية ـ السورية يضع فى الأسكندرية اللمسات النهائية للخطة الهجـومية ولخطة الخداع التى تسير جنباً الى جنب مع خطة العمـليات وتحديد مواعـيد مراحل الهـجوم من الجبهتين.

وعنـدما انتـهت اجتـماعات الأسـكندرية السـرية يـوم الاثنين ٢٧ أغسطس ١٩٧٣ عـاد الضبـاط المصــريون فرادى الى مـقار عملهم فى حين تفـرق الضباط السوريون ، ليـجد كل منهم طريقاً مختلفـاً الي بلاده. ذهب أحد الضباط الى جدة لتأدية العـمرة قبل أن يعود الــى سوريا ، وذهب آخرون الى الـقاهرة واستـقلوا على مدى أيام متفرقة الطائرات الى دمشق. ومنهم من عاد على الخطوط الجوية السورية ومنهم من استخدم طائرة «مصر للطيران».

أما الباقـون فقد عادوا بطريق البحـر من الأسكندرية الى ميناء اللاذقية فى الشمال السورى.

ووصل اللواء مـصطفي طلاس وزيـر الدفـاع الســورى الى دمشق، ليجتمع بالرئيس حافظ الأسـد ويطلعه على تفاصيل ما تم الاتفاق عليـه فى الأسكندرية. وفى اليوم نفســه كان الرئيس أنور السادات يتجه ضمن جولته العـربية الى دمشق فى زيارة رسمية تبدو ضـمن جولتـه بحثاً عـن حل سلمي وأملاً فى قيـام الرئيس الأسد بدور فى اصلاح الأحوال بين القاهرة وموسكو.

وحـقيـقة مـا دار فى اجتـماع الرئيـسـين كانت مـختلفـة كل الاختـلاف عمـا ذكرته الصحف ورردده الـمحللون والمعـلقون فى الوطن العربى وخـارجه. لقد عـقد الرئيسـان اجتمـاعهمـا السرى بعيداً عن عدسات التصوير وكاميرات التليفزيون، وبحثا مع اللواء طلاس قرارات الأسكندرية وتوصيات القادة. واسـتبعد الرئيسان كل التوقيتـات التى تجعل يوم (ى) أحد أيام شهر سبتمـبر واتفقا على أن يبدأ الهـجوم بين يومى ٥ و ١٠ أكتوبر مع ترجـيح اليوم السادس من أكتوبر أو قبله بيـوم واحد. واقترح الرئيس السادات فى اجتمـاع دمشق تخفيض فترة الـعد التنازلى من ٢٠ يوماً الى ١٥ يوماً فـقط باعتبارهـا كافية لكل خطوط الـعمليات قبل سـاعة الصفر. وتم الاتفاق على ذلك. وقدم الرئيس حافظ الأسد تفويضاً كاملاً لـلرئيس السادات، باعتبـاره القائد الأعلى للقيادة الـموحدة للدولتيـن ـ مصر وسـوريا ـ ليقـوم بتحديد التـوقيـتات واطلاق شـرارة الهـجـوم. وتقـرر أن يكون اليـوم (ى) هو السـادس من أكـتوبر وأن يبـدأ العد التنـازلى قبله بـ ١٥ يومـاً أى يكون (ى - ١٥) هو الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٧٣م.

وعندما انـعقد المـؤتمر الوزارى لدول عـدم الانحيـاز صدرت التعليمـات من وزارة الخارجية المـصرية فى القاهرة ومن وزارة

الخارجية السورية فى دمشق الى مندوبى وممثلى الدولتين بالتحدث عن السلام وعن التطلع الى حلول سلمية تحقن الدماء وتنقذ المنطقة من التوتر المستمر. وكانت التعليمات الصادرة للدبلوماسيين العرب فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية تسير فى هذا الاتجاه. وطلب الرئيس أنور السادات شخصياً من عدد من الزعماء العرب مساعدة دبلوماسية فى هذا المجال باعتبار الحل السلمى هو الممكن الوحيد. ورغم تحفظ بعض الدبلوماسيين المصريين على هذا الأسلوب، الا أنهم التزموا بما صدر اليهم من تعليمات دون أن يتبادر الى ذهن أحد منهم أنه يقوم بدوره فى خطة خداعية متكاملة.

وتقدمت احدى الشركات الأمريكية بمشروع اتفاقية بترولية مع مصر تقضى بانشاء خط أنابيب للبترول يبدأ من داخل ميناء الأدبية على خليج السويس. ووافقت مصر ووقعت أوراق المشروع وصادقت على العقود. وكان ذلك مؤشراً على أن مصر تتوقع فترة سلام طويلة، لأن موقع المشروع يدخل في بؤرة دائرة العمليات العسكرية في حالة نشوب أية عمليات قتالية.

وفى منتصف سبتمبر - وقبل أن يبدأ العد التنازلى للحرب بستة أيام - وقعت معركة جوية فوق الأرض السورية تورطت فيها الأسراب السورية. وأسفرت هذه المعركة المشئومة عن سقوط ١٢ طائرة سورية. وكان رد الفعل الطبيعى أن تقوم سوريا بعمل ما لرد هذه الضربة. وقد حشد السوريون بالفعل قواتهم في مواجهة العدو مما جعل اسرائيل تستنتج أن الهدف هو الرد على هذه الضربة بعملية محدودة. لكن الأمر تحول الى تحركات مدروسة ضمن خطة الحشد الرئيسى للحرب الهجومية.

واستوجب ذلك تحـركات مماثلة مـحدودة على الجبهـة المصرية. ولكن الأيام مرت دون أن يقع شـىء مـما توقعتـه اسرائيل. وبات راسخـاً فى الوجدان العـسكرى الاسرائيلى أن سوريا قـد ابتلعت الضربة ووقفت عاجزة عن الرد.

وأصـبحت هذه الواقـعة أحـد عناصر الخـداع التى تؤكد عـدم القدرة العربية على القـيام بأعمال هجومية. فـضلاً عن أنها كانت تغطية ناجحة للتحركات السورية.

وعلى الجبهـة المصرية تحولت التحركـات العسكرية الى جزء من الاعداد للمشروع التدريبى الذى عرف باسم مناورات «تحرير ٢٣» والذى سمح باسـتدعاء بعـض قوات الاحتـياط ليتـسنى لها الاشتراك فى المشروع التدريبى. وكـانت الاشارات المفتوحة بين القوات تكمل الصورة الخداعية التى كان العدو ضحية لها.

وقد استراحت الدوائر الاسرائيلية كثيراً لما انتهت اليه قناعاتها من أن العــرب غــيـر قــادرين على الهــجــوم ، وأن مناورات «تحرير ٢٣» لـيست ذات بال ، وأن السوريـين قد استكانـوا بعد سقوط ١٢ طائرة لهم فى مـعركة جوية واحدة ، ولم يعـد أمامهم سـوى التحـركات العـسكرية التظاهرية التى ليس وراءها سـوى انقاذ ماء الوجه ظاهرياً.

ورسخ ذلك فى الوجـدان العـسكرى الاسـرائيلى خـاصـة أن الكثير من القضايا الساخنة كانت تجذب انتباهه وتستنزف جهوده داخلياً وخارجياً.

.. على الصعـيد الخارجى بدأت اسرائيل مع بداية أكـتوبر ٧٣ تواجه مشكلة كبيرة ترتبت على قـيام الحكومة النمساوية بإغلاق

معسكر استقبال المهاجرين اليهود فى منطقة «شنو» وكان هذا المعسكر يستقبل يهود الاتحاد السوفيتى وينظم نقلهم الى اسرائيل. وتعرض القطار النمساوى الذى ينقل المهاجرين السوفييت الى المعسكر لهجوم فدائى فلسطينى أسفر عن اختطاف عدد من الرهائن.

وباغلاق هذا المعسكر تفجرت مسائل دبلوماسية وسياسية فى مواجهة اسرائيل تكاملت معها حملات اعلامية عربية وعالمية ضد السوفييت واسرائيل معاً. واستوجب ذلك قرار الحكومة الاسرائيلية سفر رئيسة الوزراء للاجتماع مع المستشار النمساوى فى فيينا. وكان ذلك قبل مولد الحرب بأيام لتعود من رحلتها قبل الحرب بساعات.

وعلى الصعيد الداخلى كانت الاستعدادات لانتخابات الكنيست البرلمان الاسرائيلى ـ على أشدها، فقد كان من المقرر أن تجرى عملية التصويت فى نهاية أكتوبر ٧٣.

وعلى الصعيد العسكرى جرت قبل ذلك تنقلات وتعيينات عكست الصراعات الخفية داخل المؤسسة العسكرية فى اسرائيل وكان أفضل ما أسفر عنه ذلك هو ابعاد الجنرال «ياريف» عن ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية وتعيين الجنرال «زائيرا» بدلاً منه. وكان «زائيرا» من المؤمنين باستحالة عبور قناة السويس بأى قوات عسكرية مهما بلغ حجمها ومهما كان تسليحها.

وقد أمضي «زائيرا» فى موقعه فترة كافية قبل بداية العبور، مما جعل ايمانه باستحالة الحرب ينعكس على معظم العاملين معه

من ضباط المخابرات العسكرية الاسرائيلية.

وساعد ذلك كثيراً على تورط العدو الاسرائيلى فى استنتاجات خاطئة بشأن التحركات التى كانت تجرى غرب القناة. لقد رآها العدو.. لكنه أبداً لم يفهمها.

كانت القوات تتحرك أثناء الليل فى اتجاه الجبهة. وكانت بعض عناصرها تسحب نهاراً ثم تعود ليلاً الى مواقعها المجهزة والمعدة لها والتى انسحبت منها صباحاً. وكانت حشود المدفعية والدبابات تتخذ ستاراً وراء الكتل الرملية والسد الترابى الذى اتخذ شكل الاستحكامات الدفاعية في مواجهة الضربات الاسرائيلية. وكانت الاشارات اللاسلكية المتبادلة بين الوحدات العسكرية المتحركة تدخل جميعها فى اطار المشروع التدريبى «تحرير ٢٣» والاعداد لمراحله المختلفة.

وظل أسلوب الحشد العسكرى المصرى غرب القناة يلتزم بالشكل الدفاعي الذى يخدم الخطة الهجومية ويؤكد فى الوقت نفسه عناصر الخداع التعبوى للعدو. وهذا الأسلوب فى الحشد يعد من أصعب الأعمال العسكرية، وأكثرها تعقيداً فضلاً عن عدم مسايرته لما هو معروف من قبل عن العقيدة العسكرية المطبقة في مصر.

لقد كان الحشد الدفاعى عن قناة السويس يعتمد على خمس فرق مشاه وعلى فرقتين مدرعتين، بمجموع سبع فرق. وكانت فرق المشاه الخمس تتخذ مواقعها على الخط الدفاعى الأول الذى يبدأ من الضفة الغربية لقناة السويس مباشرة وبعمق عدة كيلومترات غرباً. أما باقى فرق الدفاع السبع ـ وهى فرقتان

مدرعتان - فقد كانت تتخذ مواقعها علي الخط الدفاعى الثانى أو النسق الثانى - كما يطلق عليه العسكريون - وتتجمع هذه الوحدات المدرعة خلف فرق المشاه الخمس على مسافة تتراوح ما بين ٢٠ و٢٤ كيلو متراً من شاطيء القناة الغربى.

وجاءت الخطة الهجومية لتعتمد على قيام خمس فرق مشاه باقتحام المانع المائى لقناة السويس طبقاً للقطاع المحدد لكل وحدة. وتم تحديد هذه القطاعات فى الخطة الهجومية ضمن الحدود المقررة لكل وحدة فى خطة الدفاع أى فى القطاع المكلف بالدفاع عنه.

وأدى ذلك الى استبعاد تحركات كثيرة قد يستلزمها الحشد الهجومى مما يساعد على عدم استطاعة العدو رصد الأوضاع الهجومية للقوات المصرية، واستمرار قناعته بالموقف الدفاعى المصرى.

ويكتمل هذا الخداع بالتعديل الذى تم ادخاله على نظم التعبئة واستدعاء الاحتياط وتكرار عمليات الاستدعاء مرات عديدة يعقبها تسريح من تم استدعاؤهم.

ولم يكن من الصعب على العدو أن يرصد استدعاء الاحتياط فى مصر وكل أشكال التعبئة. وهو ما كان يقوم فعلاً برصده وتحليله. وقد ظلت القيادة العسكرية الاسرائيلية تتلقى معلومات كاملة عن استدعاء الاحتياط فى مصر ثم تسريحهم. وخلال الأشهر العشرة التى سبقت الحرب رصدت القيادة الاسرائيلية ٢٢ استدعاءً لقوات الاحتياط المصرية.

ووجد ذلك ردود فعل سريعة لدى العدو الذى كان يبدأ فى

وضع خطة التعبئة الاسرائيلية موضع التنفيذ ويشرع في تنفيذ الحشد ليسفر ذلك فى النهاية عن لا شيء».

ويصف وزير الدفاع الاسرائيلي - موشى ديان - هذا السيناريو بأنه «اللعبة المصرية المفضلة». ويقول: ان لعبة استدعاء الاحتياط أصبحت اللعبة المفضلة لدى المصريين لأنهم يعرفون أن القوات الاسرائيلية الضاربة تعتمد بصورة أساسية على الاحتياط وأن تعبئة قوات الاحتياط فى اسرائيل تكلف الميزانية ملايين الدولارات في كل مرة ويؤدي الى شبه شلل كامل فى الحياة المدنية حتى تكاد الشوارع ومواقع العمل تخلو من الناس ومعهم معظم سيارات النقل العاملة في القطاعات المدنية.

ويؤكد هذا المعنى نفسه الجنرال زائيرا - مدير ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية الذى تولى هذا المنصب بعد الجنرال ياريف - ويعبر الجنرال زائيرا عن رفضه لاستدعاء أى قوات احتياط اسرائيلية كرد فعل للتعبئة المصرية قائلاً: «إننا نرفض الرقص فى كل مرة على أنغام المصريين».

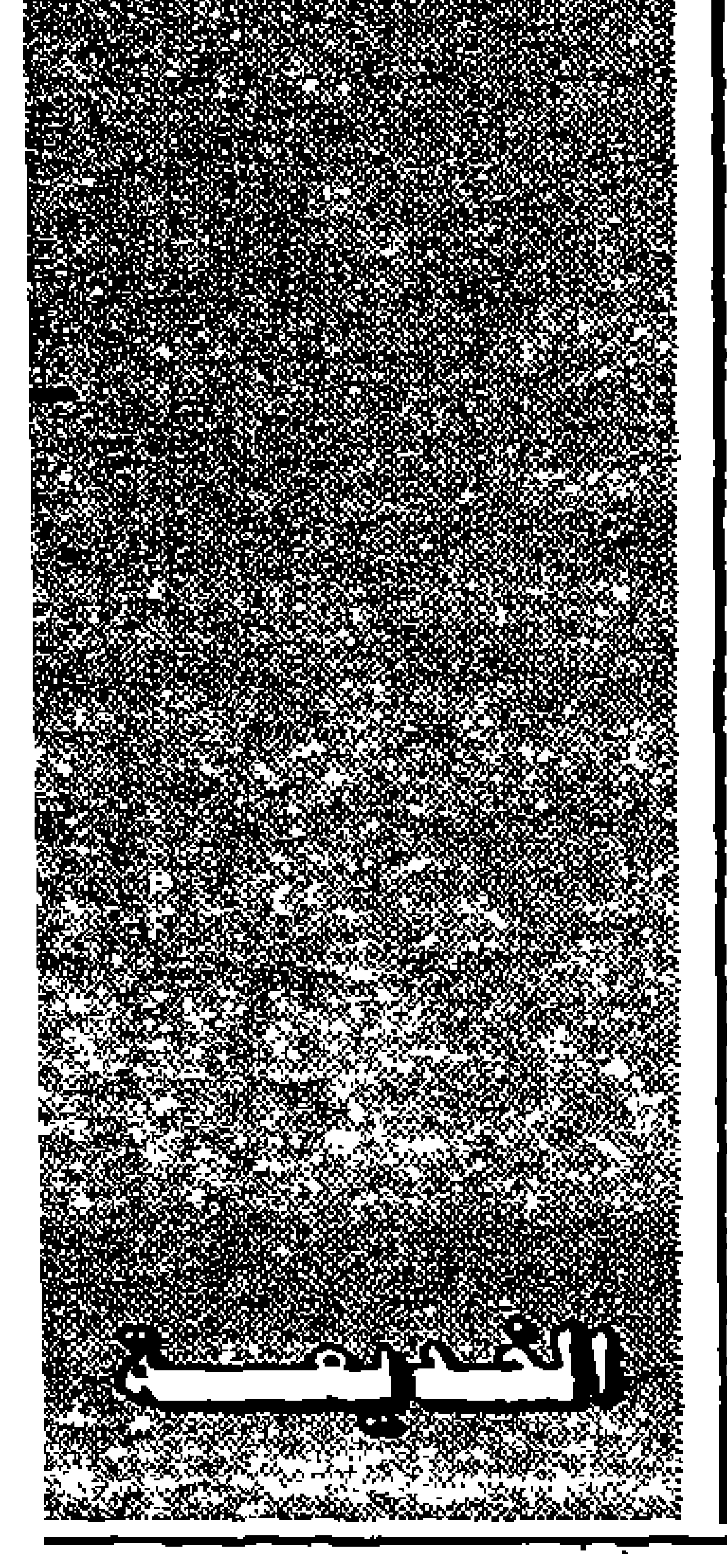
ولم يعد الاسرائيليون يأخذون ما يجرى فى مصر مأخذ الجد وتميزت ردود أفعالهم بالتردد حتى انهم لم يتحركوا أمام الاستدعاء رقم (٢٠) لقوات الاحتياط فى مصر والذي تم قبل بدء مناورات الخريف. وتكرر ذلك أكثر من مرة خاصة مع الاستدعاء رقم (٢٢) الذى سبق المشروع التدريبى المصرى المعروف باسم «تحرير ٢٣» وأعقبه بعد ذلك الاستدعاء رقم (٢٣) لقوات الاحتياط المصرية الذى كان يبدو بصورة أقل جدية وبأنه مجرد

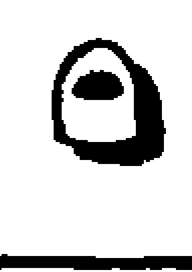
استدعاء للتدريب المعتاد وضمن «اللعبة المصرية المفضلة» حسب تعبير الوزير الاسرائيلي.

وكان هذا الاستدعاء المصرى يحاط بالكثير من اجراءات التعمية والخداع مثل فتح باب سفر العسكريين للخارج وتنظيم مسابقات ثقافية ودينية لأفراد القوات المسلحة ورصد جوائز مالية كبيرة لحفظ القرآن بين الجنود واعداد رحلات متتالية لأداء العمرة للضباط والجنود، تم تحديد مواعيدها طوال شهر رمضان ١٣٩٣هـ دون أن يعرف أحد أن العد التنازلى للحرب سيبدأ قبل بداية رمضان وأن اقتحام قناة السويس سيتم قبل العاشر من رمضان.

وفى هذا المناخ العام تم الاستدعاء رقم ٢٣ وكان هو استدعاء حرب أكتوبر ١٩٧٣م.







السادات يلقى خطابا عن السلام بعد أن بدأ العد التنازلى للحرب

- القوات البحرية بدأت الحرب قبل خمسة أيام من موعدها
- وحدات المهندسين ابتكرت
- خلطة لإصلاح المطارات وألواح صلب لترميم الطرق
- وزير خارجية مصر يلتقى بوزير خارجية أمريكا
- وهو يجهل أن الحرب ستبدأ غداً

كان الدكتور عبدالهادى هو أول من هبط من سلم الدرجـــة الأولى بالطائـرة «تى. دابليـــو. ايه» TWA القادمة من نـيويورك. ووجد فى استقـباله عند سلم الطائرة شاباً فى الحلقة الثالثة من عمره يرتدى بذلة بنية ويستقبله بابتـسامة دافئة رغم أن هذا هو اللقاء الأول بينهمـا. ولم يكن ظلام التاسـعة مسـاءً ليحـول دون تعرف الشاب على الدكتـور عبدالهادى الذى شاهـد صورته قبل لحظات من وصول الطائرة.

وخرج الدكـتور عـبدالهادى برفـقة الشـاب الذى استقـبله من صالة كبار الزوار بمطار القاهرة ليسـتقل سيارة «فيات -١٣٠٠» من تجميع شركة النصر المصرية موديل ٧٣ وهو آخر موديل تم انتاجـه من هذه السيـارة. وبعد دقائق مـرقت السيـارة من مدخل استـراحة القوات المسلحـة للمدنيين بطريق صـلاح سالم، لتلحق بهما سـيارة أخرى تحمل الحقيـبة الوحيدة التى جاء بهـا الدكتور عبدالهادى من أمريكا.

وفى الموعد المـحدد للقاء الدكتور عبدالهـادى مع رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المـصرية ،وجد الضيف ثلاثة رجال

فى انتظاره منذ الثامنة والنصف صباحاً فى مبنى القيادة بمدينة نصر، ليكتمل عددهم خمسة داخل الغرفة الملحقة بمكتب رئيس الأركان، وكان هو أول المتحدثين.

قال إن الدكتور عبدالهادى عالم مصرى كبير يحمل الجنسية الأمريكية ويعمل أستاذاً فى جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية ويتطلع إلى المشاركة فى تدعيم قواتنا المسلحة بأحدث الأبحاث العلمية التى يمكن أن تعاوننا فى معركتنا. ولم يكن أحد يعرف أن ادارة المخابرات الحربية قد أرسلت تقريرا من بضعة أسطر إلى رئاسة الأركان قالت فيه إن الدكتور عبدالهادى على صلة وثيقة بأجهزة المخابرات المركزية الأمريكية التى تحرص على توثيق علاقاتها بكل الباحثين فى الجامعات الأمريكية ومنهم الدكتور عبدالهادى. ولم يكن ذلك يعنى تشكيكاً في ولائه لمصر كما لا يعنى الاطمئنان اليه اطمئناناً كاملاً.

قال رئيس الأركان إن الدكتور عبدالهادى أرسل إلى القيادة المصرية يخبرها عن اختراع نظام جديد يمكن بواسطته اكتشاف المعادن والسوائل تحت سطح الأرض بواسطة معدات خاصة يمكن تركيبها فى الطائرات. وقد استخدمت بعض شركات البترول هذه التجهيزات في البحث عن البترول ، وأطلقت على ذلك اسم «الاستشعار عن بعد» وان تلك الوسائل الحديثة جداً يمكن استفادة القوات المسلحة المصرية منها فى الكشف عن الدبابات والعربات المدرعة التى يتم اخفاؤها وتمويهها. وتعتمد النظرية على أن درجة الحرارة التى تعكسها المعادن تختلف عن غيرها،

وبالتالى يسهل بهذه الأجهزة الحديثة اكتشاف حجم وموقع المعدات المختفية. وأبدى الدكتور عبدالهادى استعداده للعمل مع العلماء المصريين لتزويد بعض طائراتنا بهذه الأجهزة، مساهمة منه فى الاعداد لحرب تحرير سيناء.

وتم الاتفاق خلال الاجتماع على خطة عمل تستغرق خمسة أشهر اعتباراً من شهر يولية ٧٣ ، ولتكون أجهزة الاستشعار عن بعد جاهزة ضمن تجهيزاتنا للعبور خلال الشهور الأولى من ١٩٧٤م.

وتم بالفعل الأخذ بهذه الخطة. وعاد الدكتور عبدالهادى إلى أمريكا ليعمل باجتهاد وقد رسخ في وجدانه وتأكد لديه أن حرباً لن تنشب قبل نهاية عام ١٩٧٤م. لكنه فوجىء مثل غيره بالهجوم المصرى ـ السورى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

واذا كانت خطة تزويد قواتنا بوسائل الاستشعار عن بعد قد تمت بعد معركة ٧٣ بشهور طويلة، فان سائر التجهيزات ومعدات العبور كانت جاهزة قبل الحرب بفترة كافية. وكان من بينها ما حقق مفاجآت بالغة للعدو فى اطار خطة الخداع. ومن هذه الاستعدادات والتجهيزات اللواء البرمائى الذى لم يعرف عنه العدو شيئاً الا بعد أن عبر هذا اللواء البحيرات المرة ليفاجىء العدو من الشاطىء الشرقى للبحيرات.

وعندما صدر قرار تشكيل هذا اللواء فى بداية عام ٧٢ جاء فى حيثيات القرار أن الهدف من هذا اللواء هو دفعه في عمق العدو عبر البحيرات أو من البحر وتكون مهمته شل مراكز قيادة العدو

أو ارباكها وتعطيل تقدم الاحتياطيات من خطوط العدو الخلفية فى طريقها لمـواجهة قواتنا بعـمليات هجوم مضـاد.ووضـعت القيادة العـامة هذا اللواء ضـمن خطة الخـداع والمـفاجـأة. لقد كـان من المـقرر أن المـعديات سـتقـوم بنقل الدبابات من غـرب القناة إلى الضفة الشـرقية طبقاً لجـداول توقيتات تجـعل هذه الدبابات غير مستعدة للعمل والقتال قبل الساعة: س + ٥ (أى بعد ساعة الصفر بخـمس سـاعـات) فى حـين يسـتطيع اللواء الـبرمـائى عـبـور البحيـرات فى أقل من ساعة واحدة ، وبأعداد كـبيرة من الدبابات والعربات مـما يشكل تهديداً خطيـراً لقيادات العـدو واحتيـاطياته المتحركة.

ووضعت خطة تدريب اللواء البرمائى على هذا الأساس. وعكف أفراده على التدريب لشهور طويلة. وشملت عمليات التدريب عبور برمـائيـات لنقل قـوات من المشـاه المـيكانيكيـة وبأسلوب عـمل الوحدات الخاصة.

وفى ليلة ١٨ ـ ١٩ يولية ٧٣ تم الاختـبار النهائى لقدرات هذا اللواء فى منطقة التـدريب غرب الأسكندرية وبقي فى ميـاه البحر لأكثر من خمس ساعـات، ونجح فى الابرار على الشاطىء والتقدم براً لتنفيـذ مهمتـه في صد وعرقلة القوات المـعادية المتقـدمة من العمق. ولأن العملية التدريبية كانت أشق كـثيراً من المهمة القتالية التى سـيواجـهها هذا اللواء ، فـقد أسـفر التـدريب عن خسـارة مركبتين وفقد عشرة أفراد تم العثور على سبعة منهم فى الصباح وتأكـد استشـهاد ثلاثة. وهكـذا قدم اللواء البـرمائى أول شـهداء

العبور قبل المعركة بأكثر من ستة أشهر، لكن خسائره في عملية العبور الحقيقية كانت فرداً واحداً.

وكانت التـشكيلات الجدية التى تـم تكوينها قبل الحـرب تمثل مفاجأة بالغة للعـدو بالاضافة إلى تجهيزاتها غير المتـوقعة. وكما تم تشكيل اللواء الـبرمـائى الذى فـوجىء العـدو به وراء خطوطه كـانت هناك وحـدات مـهندسـين جـديدة انضـمت إلى الوحـدات الأصلية في كل التخصصات.

وكانت هذه الكتائب مجهزة بمعدات مستحدثة كما كان بعضها يعمل بوسائل بدائيـة استخدمتها الجـيوش فى العصور الوسطى مثل سـلالم الحبال التى صـعد عليهـا جنود المشاه وتسلقـوا بها الساتر الترابى، ومثل عربات يد بدائيـة تتحرك على عجلتين يحمل عليها الجنود معداتهم التى لا تتـحملها ظهورهم. وتم تصنيع هذه العربات فى مصانع ادارة المهمات المصرية.

وكانت المفاجأة أكبر من أن يستـوعبها العدو الذى خدع نفسه قبل أن يخدعـه الآخرون. ووضح ذلك في اجتمـاع ادارة العمليات الاسرائيلية فى سـبتمبر ٧٣ عندما عكف قـادة العدو على دراسة عمليـات استدعـاء الاحتياط المـصرى ثم تسريحـه، وارتباط ذلك بتـحرك وحـدات متـعددة غـرب القناة مع ظهور عـربات كبـارى ومعـدات عبور مـوانع مائية ضـمن مهمـات وتجهيـزات القوات المصرية غرب القناة.

وفى ذلك الاجـتـماع درس القـادة الاسـرائيليـون احـتمـالات الحرب، ومدى الاحتياجات الهندسيـة لاتمام عملية عبور محدودة.

وتحدث الجنرال اليعازر عن الاحتيـاجات الهندسية للمصـريين من أجل عـملية عـبور مـحدودة فـى قطاعات مـعينة ـ وقـال إن هذه الاحتـياجـات لا تتوافر لأى جـيش فى العالم. وأكـد ذلك الجنرال « مـوشـى ديان » وزير الدفـاع الاســرائيلى قــائلاً : « اذا أراد المـصريون عـبـور قناة السويس فـيلزمـهم سـلاح المهندسـين الأمريكى وسلاح المهندسين السوفيتى ـ مـجتمعين ـ لمساعدتهم على ذلك».

وهذا الكلام الذى تردد فى اجـتمـاع القادة الاسـرائيليين قـبل العبور بأسابيع قليلة عكس ثقة الجنـرال « اليعازر » يومها، وجاء ذكره فى يومياته التى نشرها بعد معركة العبور بعدة أشـهر.

وفى هذا الاجتـماع أشاد كبار الضـبـاط الاسرائيليـين بمعدات قذف كميات كبيـرة من السوائل الملتهبة من تحت سطح الماء فى القناة لتطفـو فوق السطح ويتم اشـعالها لتـتحول القـناة إلى بحر من اللهب. وتعرضـوا للآثار النفسيـة الكبيرة لذلك بالاضـافة إلى عجز الأفراد عن العبور فوق نيران مشتعلة.

وبينما كان هذا الحـديث يدور فى قاعة الاجتماعـات الرئيسية بوزارة الدفـاع كان ضـبـاط هيـئة العـمليـات المـصرية يعـدون للمفاجآت المضادة التى تكمل خداع العدو الذى خدعه اطمئنانه.

كان التصور الأول لمواجهة النيران المشتعلة فوق سطح القناة هو نزول وحـدات صـغـيرة من الأفراد داخـل مركبـات برمائـية. وينتشر الأفراد على أجناب كل مركـبة ويحمل كل فرد واحدة من سـعف النخل المـعـروف باسم «الجـريد» ليـضرب بهـا النيـران

المشتعلة حتي تتحول الي جزر من اللهب يسهل اطفاؤها. وفشلت التجارب. ولم ينجح الجنود أثناء التدريب فى مواجهة النيران بسعف النخل رغم أن كميات السوائل المشتعلة كانت أقل من المتوقع مواجهته خلال العبور الفعلى. وتم اعادة التجربة باستخدام مواد اطفاء كيماوية. واستلزم ذلك جهداً ووقتاً جعل العمليات تتحول من معركة عسكرية، وعبور لمانع مائى صعب إلى عملية اطفاء حريق أشعله العدو فوق القناة وحاولنا نحن أن نطفئه.

وعلى ضوء نتائج هذه التجارب المتكررة تقرر أن تكون الخطة هى حرمان العدو من استخدام هذا السلاح الجهنمى مع خداعه وايهامه بصلاحية هذا السلاح ومفاجآته بتجهيزات معطلة تُخرج سلاح الحريق من المعركة قبل بدايتها.

وتم عقد اجتماع ضم قائد القوات الخاصة وقائد الضفادع البشرية ومدير سلاح المهندسين وأحد ضباطه ومدير التخطيط بهيئة العمليات. وتم فى هذا الاجتماع استعراض كل التجارب والمحاولات المعدة لمواجهة اشعال العدو للحرائق فوق سطح القناة ونتائج التجارب التى أُجريت فى أكثر من موقع ، وتم خلالها استخدام عشرات الأطنان من السوائل المشتعلة التى تمثل نوعاً من أنواع النابالم ـ أقل كثافة من مياه القناة ـ لضمان الطفو فوق السطح.

وتقرر وقف كل محاولات اطفاء الحريق والتركيز على حرمان العدو من فرصة استخدام هذا السلاح.

وعلى ضوء المعلومات المتوافرة من الاستطلاع وادارة المخابرات، شرح ضابط المهندسين تفاصيل التجهيزات التى يعتمد عليها العدو، والتى تتكون من ثلاثة أجزاء.. هى خزانات تحت مواقعه الحصينة يسع كل خزان منها ٢٠٠ طن من المواد المشتعلة. والجزء الثانى أنبوبة تصل بين هذه الخزانات وسطح مياه القناة. وأخيراً معدات السيطرة التى تتولى فتح خزانات «النابالم» واشعالها. ولو تم افساد أى جزء من تلك الأجزاء الثلاثة فان العدو سيفشل فى خطته. واستبعد المجتمعون امكانية تدمير الخزانات بواسطة المدفعية لأنها مدفونة جيداً فى الرمال، ومعها أنابيب نقل السائل إلى القناة المدفونة أيضاً تحت سطح الأرض. لكن فتحات هذه الأنابيب كانت ظاهرة تحت سطح الماء وكانت قواتنا تراها بوضوح من غرب القناة عندما يكون هناك «جزر» وينخفض مستوى سطح الماء فى القناة. وأصبح الحل هو سد هذه الفتحات قبل العبور ، خاصة أن أماكنها محددة لدينا وهناك صور لها بين أيدينا، بالاضافة الي معلومات تفصيلية قدمها المهندس الاسرائيلى الذى استطاعت دورية خطف أسير مصرى والعودة به من شرق القناة.

وتم وضع الخطة من ثلاث مراحل. المرحلة الأولى : ارسال وحدات خاصة من الضفادع لعبور القناة من تحت سطح الماء والقيام باغلاق الفتحات وسدها قبل أول ضوء من اليوم (ى) وهو يوم العبور. والمرحلة الثانية: هى وضع هذه الخزانات ضمن أهداف تحضيرات المدفعية على أمل النجاح فى ضربها. والمرحلة الثالثة: تكون فى بداية المعركة بحيث تظل نقاط عبور القناة فوق

اتجاه التيار عند كل خزان حتى اذا نجح العدو فى استخدام هذا السلاح فان النيران تظل متجهة بعيداً عن الموجات الأولى من عبور الأفراد. وفى جميع الأحوال يتم تأخير نزول الوحدات إلى الماء لفترات تتراوح ما بين ٢٠ و٣٠ دقيقة بعد ظهور اللهب فوق الماء وتحاشى تأثيرها حتى ينتهى أثرها.. أو تجاهلها فى حالة ضعف تأثيرها.

وقد تحقق النجاح خلال المرحلة الأولى من الخطة ، واستطاعت القوات الخاصة اغلاق الفتحات وسدها. وكان ذلك مفاجأة من مفاجآت خداع العدو، مثلما فاجأته مراحل تعبئة القوات وخطة تحريك معدات العبور.

لقد تم تطوير خطة استدعاء الاحتياط حتى أن حوالى ٨٠٪ من الأفراد الذين يتم استدعاؤهم يصلون فى اليوم الأول للاستدعاء وخلال الشهور العشرة الأولى من عام ٧٣ تم تنفيذ ٢٢ عملية استدعاء لقوات الاحتياط المصرية. وكان الاستدعاء رقم ٢٣ هو استدعاء للحرب تم فى اطار استدعاء خداعى باعتباره استدعاء للاشتراك فى العمليات التدريبية لمناورات «تحرير ٢٣» التى تحولت إلى «بدر» وهو اسم الخطة الهجومية لعبور القناة.

واتفق واضعو خطة الهجوم على أن يتم العبور بطول قناة السويس وعلى امتداد ١٧٥ كيلو متراً لأن ذلك سيؤدى إلى اضعاف أو تجميد مصادر تفوق العدو. ويساعد على خداعه بحيث لا يستطيع اكتشاف الاتجاه الرئيسى لقوات الهجوم ويحرم اسرائيل من تركيز جهود قواتها الجوية فى اتجاه محدد مما

يضعف كثـيراً من تأثير النشاط الجوى الـمعادى، ويضطرهم إلى شن الهجمات المضـادة على جبهـة متسـعة فى وقت واحد كـما سيـؤخر ردود الفعل لدى العـدو حتى يكتـشف اتجاه المجـهود الرئيسى المصرى. وهذا معناه ارتبـاكه وتأجيل ضرباته المدرعة واتاحة مزيد من الوقت أمام القوات المصرية التى تعبر القناة.

ومع بداية العـد التنازلى لليوم (ى) كـانت الوحدات الضـاربة تنتشر فى مواقـعها بطول القناة. وكانت معدات العـبور والجسور والكبـارى تتـحرك من الـغرب إلى الشـرق نحـو الجنوب ونحـو الشمال. ورغم أن ذلك يمثل التزاماً بالخطة الموضوعة، لكنه أيضاً كان يشكل اسـتمـراراً في الخداع. وبات العدو مـتأكـداً من أن ما يجرى لا يمـكن أن يكون اعداداً لحرب شـاملة بطول جبـهة تمـتد لأكـثـر من ١٧٠ كـيلومـتـراً، وانمـا هو تدريبـات لكل الوحـدات المصرية المشاركة في مناورات «تحرير ٢٣» لأن مـا يتوافر من تجهـيزات ومـعدات العبـور قد يتـيح امكانية العـبور من مـحور رئيسـى أو محورين وهـذا يتعارض مع كـل ما يجرى غـرب قناة السويس.

وهذا ما تداوله المـجتمعـون فى قيادة الجـيش الثانى بالقطاع الأوسط من قناة السـويس وفى قـيادة الجـيش الثـالث الميـدانى بالقطاع الجنوبى من القناة. لقد لاحظوا أن العدو يعرف تحركاتهم ويتابعها. لكنه بالتأكيد لا يفهم معناها.

وكان ذلـك وراء الكلمات التى رددها الرئيس أنورالسـادات في خطابه في اليوم (ى ـ ٨) أى قبل الحرب بأسـبوع واحد وحرص

خلاله على تحمل نصيبه فى خداع العدو.

فى ذلك اليوم احتفلت القوات المسلحة بذكرى الرئيس جمال عبدالناصر. وذهب كل القادة وكبار الضباط فى الصباح، ليضعوا أكاليل الزهور على قبر الزعيم الراحل وقراءة الفاتحة. وتوالى ظهور القادة أمام عدسات التصوير فى احتفالات مختلفة منها توزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم من أبناء القوات المسلحة وتوديع الفوج الأول من أبناء القوات المسلحة الفائزين بجوائز عمرة رمضان.

وكان هذا يبدو وكأنه عدم جدية من كبار القادة فى الإعداد للمناورات التدريبية التى عرف الجميع أنها ستجرى فى الفترة ما بين أول أكتوبر وحتى ٧ أكتوبر ١٩٧٣ في حين أن عدداً محدوداً جداً من الأفراد كانوا يعرفون أن يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ سيكون هو (ى + ١) أى اليوم الثانى من الحرب.

وكما ظهر كبار القادة أمام عدسات المصورين وكاميرات التليفزيون يحتفلون بالجوائز ويزورون قبر عبدالناصر، فقد كانوا جميعاً أمام العدسات وتحت الأضواء فى احتفال الاتحاد الاشتراكى بهذه المناسبة والذى أقيم فى المساء. ووقف الرئيس أنورالسادات يتحدث عن المشكلات التى ورثها وعن البنية الأساسية التى يعيد بناءها والمرافق المتهالكة التى لابد من تجديدها. وتحدث بتركيز عن اعادة بناء القوات المسلحة وحرصه على سلامتها وعدم خوض مغامرة عسكرية قبل أن يوفر المعدات الحديثة لأبنائه المقاتلين. وردد العبارة العجيبة التى أدهشت كل

المحللين ومنهم ـ أو أولهم ـ المحللون الاسـرائيليون وهي عبارة «لن أدفع بأبنائي إلى الحرب قبل أن أضع الالكترون في أيديهم».

وعجـز عبـاقرة التحليل عن تـصور الواقع على حقـيقـته. ولم يخطر على بال أحـد في اسرائيل أن هذه الكلمـات يرددها الرئيس المـصري في اليـوم (ي ـ ٨) ليلة السـبت الذي ستنطلق شـرارة الحرب يوم السبت الذي يليه.

وعقب هذا الخطاب خرج الضـباط ليتجهوا إلى مـقار قياداتهم، واتجه كـبار القـادة إلى مركز القـيادة العـامة في نقطة العـمليات الرئيسية التي تعرف باسم «المركـز رقم ١٠» لمتابعة حركة العد التنازلـي الى أن يحل اليـوم (ي) الذي ســينضم فـيــه الرئيس السـادات اليهم.

وبدأت التمامات تصل من كل مكان..

وجاء التمام بوصول وحدات اصـلاح الممرات الي كل القواعد الجـوية مـزودة بالخلطة الجـديـدة التي توصل اليـهـا الـعلمـاء المصـريون. وهذه الخلطة بدأ إعدادها داخل معـامل وزارة البحث العلمي بالاشتراك مع سلاح المهندسـين منذ ستة أشهر، توصلوا بعدها الي مـزيج من الأسفلت والأسمـنت سريع التصلب بنسـبة معـينة. وهذه الخلطة ثبت نجـاحهـا في اصلاح ممـرات الطائرات بسرعـة قياسـية يسترد بها المطار كـفاءته عند قصف المـمرات بواسطة طائرات العـدو مما يتـيح لطائراتنا الانطلاق بينمـا العدو يتصور أنه أخرج هذه القاعدة من المعركة لمدة يوم كامل.

وأبلغت فـرق التعامل مـع القنابل الزمنية والشـراك الخداعـية

بوجودها فــى المواقع المحـددة لها بمــا فى ذلك المطارات. وهذه الفرق مزودة بأجهزة متقدمة للتعامل مع القذائف والقنابل التى لم تنفجر ومـعها أوامر مســتديمة بالتعامـل الفورى مع هذه القذائف والقنابل المـوقـوتة لإبطال مـفعـولهـا دون تفجـيـرها أو انتظار انفجارها. ولم يعـبأ أحد بالخطر الذى يتوقعه نظراً لاعـتماد العدو على الأثر النفسى للقذائف الموقوتة والشــراك الخداعية. واستطاع رجال هذه الفرق تجاوز كل الآثار النفسية بروح فدائية.

وتلقت القيـادة ما يفيـد وصول فرق اصـلاح الطرق إلى نقاط تمركـزها، ومعهـا ألواح الصلب التى تم ابتكارها للاسـتـخدام فى اصلاح الطرق التى تتـعرض للقذف الجـوى أو لقصـف المدفعـية، كمـا تم الابلاغ عن وصول وسائل التـحرك من نقاط تمـركز هذه الفــرق الي أى مكان يحتــاج إلى اصلاح الطريق منه واليـه. ويبلغ مجموع أطوال هذه الطرق التى تغطيها فرق الاصلاح ٢١٠٠ كيلو متر تمـتد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمــالاً بما يزيد ثلاثين مرة على طول قناة الســويس نفســها.وصــدرت الأوامر بتـحريك المـعدات ومهمــات العبور فى اتجاه نقاط العـبور لتكون جاهزة للنزول إلى الماء مع الساعة صفر.

وتلقت القــيـادة الرقم النهـائى بوجـود ٢٥٠٠ قارب جـاهزة لحـمل الأفـراد إلى الضـفة الشـرقـيـة ونصف هذه القـوارب تم تصنيعها محلياً وتم استـيراد النصف الآخر من الاتحاد السوفيتى على مراحل.

وخـرجت من المـخــازن وورش المهـندسين سـلالم الحـبـال

وزلأقات الصاج لتكون فى أماكنها بين أيدى الجنود.

وشملت التـمامات الصاعـدة من قيادة إلى أخرى الانتـهاء من نقل المدافع الخـفيفـة المضادة للـدبابات والرشاشات المـتوسطة والرشـاشـات المـضـادة للطائرات وصناديق الذخـيـرة وسـائر الأسلحة والمعـدات التى ستنتقل إلى الضفة الشرقـية للقناة خلال الساعات الأولى للمعركة.

واتخـذت الطلمـبـات التوربينـية التى تعـمل بالوقـود العـادى مواقعـها بمعدل ثلاث طلـمبات لكل ممر سـيتم فتحـه في السـاتر التـرابى شرق القـناة ، طبقـاً لخطة تحـرك وحـدات العبـور التى تسـاندها ٨٠ وحدة مهندسين.

وفى الساعة الـثامنة من صباح (ى ـ ٥) المـوافق أول أكتوبر ١٩٧٣ تم رفع حـالة الاستعـداد الكاملة. وصـدرت أوامر القـيادة العامة بوجود القيادات داخل مراكز السيطرة والقيادة على مختلف مستوياتها وذلك ضمن الاجراءات التى تستلزمها أغراض التدريب لتنفيذ المشروع الاستراتيجى التعبوى «تحرير ٢٣».

وتحت ستار التدريب استمرت القوات البرية فى تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجوميـة واعادة التجميع والفتح التعبوى. وتم رفع كفاءة التجهيز الهندسى لمسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات.

وبدأ فتح وحدات الأسطول المصرى من المدمرات والغواصات لتأخذ أوضـاعها الأخيـرة في القطاعات المحددة لهـا، بما فى ذلك وحدات الأسطول التى تحركت تحت ستار الزيارة الودية للموانىء الصديقة فى الهند.

وكان هذا التحرك حلقة مهمة فى سلسلة الخداع.

لقد كان من المقرر إغلاق الطريق البحرى إلى ميناء ايلات الاسرائيلى مع بداية العمليات باعتباره الطريق الرئيسى لامداد اسرائيل بالبترول من ايران.

ولم يكن من السهل تحقيق ذلك من منطقة شرم الشيخ والمدخل الجنوبى لخليج العقبة لأنه فى يد العدو الاسرائيلى منذ عام ١٩٦٧ ويقع تحت سيطرته التامة. وكان البديل هو الاغلاق من المدخل الجنوبى للبحر الأحمر عند مضيق باب المندب جنوب اليمن. وبدأ تنفيذ ذلك تحت ستار زيارة ودية للموانىء الهندية.

وتحركت الوحدات البحرية الموجودة في السويس بعد أن أعلنت الهند عن زيارة مقررة لبعض قطع الأسطول المصرى. واتجهت القطع المصرية نحو الجنوب لتعبر باب المندب وتدخل المحيط الهندى.

وقبل بدء العمليات، وعندما حل اليوم (ى) دخلت قطع الأسطول المصرى إلى المضيق وأعلنت اغلاق الطريق البحرى إلى اسرائيل ومنع مرور ناقلات البترول المتجهة فى البحر الأحمر إلى ايلات؛ لتعويض البترول الذى تستهلكه اسرائيل خلال العمليات الحربية.

وتلقت غرفة العمليات ما يفيد اغلاق طريق امداد اسرائيل بالبترول الايرانى؛ والذى كان يصل إلى ١٨ مليون طن سنوياً يعاد تصدير بعضه إلى أوروبا. وكان ضمن بلاغات التمام الصادرة عن القوات البحرية المصرية بث الألغام فى خليج

السويس واغلاقه أمام النشاط البحرى المعادى.

وهكذا كانت الحرب قد بدأت بالفعل بالنسبة لبعض الوحدات قبل ساعة الصفر بخمسة أيام، عندما وقفت قطع البحرية قرب مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر، وخرجت الغواصات المصرية من قواعدها فجر اليوم الأول من أكتوبر ١٩٧٣ لتتخذ أوضاع القتال أمام سواحل سيناء.

وكانت الأوامر تقضى بفرض الصمت اللاسلكى الكامل على هذه الوحدات البحرية لحين صدور اشارات خاصة اليها ـ لن تصدر الا بعد ساعة الصفر.

وكان للوحدات البحرية دور رئيسى في خطة الخداع. لقد كان عليها أن توجه ضربات مركزة من البحر إلى مراكز قيادة العدو ونقاط سيطرته شرق بورفؤاد فى بالوظة ورمانة مع تمثيل عمليات انزال من البحر يكملها هجوم خادع من معبر شمال القنطرة. وكان ذلك كفيلا بايهام العدو بأن هذا هو أحد المحاور الرئيسية للهجوم المصرى.

وكانت هناك تمثيلية مشابهة تم الاعداد لها شرق البحيرات المرة بواسطة اللواء البرمائى الذى سيعبر البحيرات ويتجه شرقاً نحو منطقة المضايق مما يوحى بوجود محور رئيسى للهجوم. ومن هذا المحور الخادع تنطلق سرية ميكانيكية برمائية مع عدد من الدبابات فى اتجاه ممر متلا، وسرية أخرى فى اتجاه مضيق الجدى؛ لتبث الذعر فى مواقع العدو وتضعف سيطرته علي قواته، وتعود بعد ذلك لتنضم إلى وحداتها الرئيسية شرق القناة.

وأبلغت قوات الصاعـقة عن تمام استعدادها للانتـقال جواً إلى عمـق العدو لعـرقلة طلائع الهجـوم المضـاد بعد اتمـام عملـيات العبور.

وبثت وكالات الأنباء من رومـانيا ومصر خبـراً عن قيام وزير الدفاع الرومـانى بزيارة رسميـة إلى مصر - وكان ضـمن جدول الزيارة الرسـمى اجتمـاعه بوزير الحـربية المصـرى يوم الاثنين ٨ أكتـوبر ١٩٧٣ وحضور مـأدبة عشـاء رسميـة. ونشر فى كل الصـحف هذا الخبـر. ونشـرت جريدة «الأهرام» خـبراً آخـر عن تعليمات من وزير الحربية«ب» بشأن اعـداد سجل لتسجيل أسماء الضباط الراغبين فى أداء العمرة فى رمضان.

وفى نيـويورك كانت تجـرى أحداث تبـدو عـادية لكنها لعـبت دورها فى الخديعة. لقد كانت الجمعيـة العامة للأمم المتحدة تعقد جلساتها فى نيويورك، وكان وزير خارجيـة مصر - محمد حسن الزيات - يرأس وفـد مصـر فى هذه الاجتـماعـات. وتلقى الوزير المصـرى رغبـة وزير الخارجـية الأمريـكى - هنرى كيسـنجر - الاجتمـاع به فى نيويورك على هامش اجتمـاعات الجمعيـة العامة يوم الجمـعة الخـامس من أكتوبر ليناقش مـعه المـوقف العام فى الشرق الأوسط.

واتخـذ الرئيس السـادات قرارا بعـدم ابلاغ وزير الخـارجيـة مـحـمد حسن الزيات بموعـد الهجوم المـصرى وتكليفه بمناقـشة المبادرات السلمـية المتوقعـة مع وزير خارجية أمـريكا ومحاولة

اقناعه ببذل المزيد من الجهد فى سبيل الحل السلمى.

لكن التفاؤل بنجاح خطة الخداع لم يكن كاملاً.

وظهـرت علامــات وبوادر وتـحركـات تشـير إلى أن اســرائيل تعـرف أن الحرب على وشك أن تندلع وأن المـصريين استـعدوا لعبور القناة.





خطة الخداع فى أكتوبر بدأتها مصر فى مايو

- مصدر عربى أيقظ رئيسة وزراء إسرائيل ليخبرها بموعد الهجوم المتوقع
- توقف رحلات مصر للطيران هدد بانهيار خطة الخداع المصرية
- إسرائيل شعرت بالخطر يوم ترحيل أسر السوفييت من مصر وسوريا
- مصر تعلن عن هجوم إسرائيلى على الزعفرانة قبل الحرب بنصف ساعة

عندمـا هبطت طائرة جـولدا مـائيـر فى مطار بن جوريون مساء يوم الثلاثاء الثانى من أكتوبر ١٩٧٣ قادمة من فيينا ، وجدت رئيسة الوزراء فى انتظارها تقريراً يتضمن تفاصيل المعلومات التى سبق إبلاغها بها خلال زيارتها للنمسا.

كان الهـدف من التقـرير اقناع رئيســة الوزراء بمناقشــة فكرة استـدعاء الاحـتيـاط الاسرائيلى. وكـانت هى فى قـرارة نفســها تعارض الفكرة من أساسهـا دون أن ترفض فكرة المناقشة. وكان شاغلها الأول فى هذا اليوم هو قرار المستشار النمساوى الدكتور برونو كـريسكى اغلاق مـركز استـقبـال المهـاجرين اليـهود من الاتحاد السـوفيـتى والمقـام فى قلعة «شـونو» قرب فيـينا والتى ينتقل منها المـهاجرون اليهود بالاتوبيسات إلى المـطار ليستقلوا طائرات شركة «العال» إلى إسرائيل.

وفى النمسـا كانت جـولدا مائير قـد استقـبلت حامل التـقرير الوزير «يزرائيل جـاليلى» يوم الاثنين أول أكتـوبر وقال لهـا: إنه اجتمع مع مـوشى ديان وبحث معه ضرورة مناقـشة الموقف فى الجولان. وأكدت جولدا مـائير انها ستفعل ذلك فـور وصولها فى الغد إلى تل أبيب.

لكن الاجتماع انعقد صباح الأربعاء ٣ أكتوبر. ولم يخطر ببال أحد من المجتمعين أن هذا هو اليوم (ى - ٣) أى قبل الحرب بحوالى ٧٠ ساعة.

ضم الاجتماع وزير الدفاع موشى ديان والجنرال ديفيد إليعازر رئيس أركان القوات الإسرائيلية الشهير بلقب «دادو» ويزرائيل جاليلى وزير الدولة ومستشار رئيسة الوزراء والجنرال إلى زائيرا مدير المخابرات الحربية (لوكادرا) ولم تستطع رئيسة الوزراء جولدا مائير تجاهل الحديث عن رحلتها الفاشلة إلى النمسا وقالت إن الهجوم الذى شنه الفلسطينيون على القطار النمساوى الذى ينقل المهاجرين اليهود دفع المستشار كرايسكى إلى إغلاق معسكر «شنو» ووقف استقبال يهود الاتحاد السوفيتى ونقلهم إلى إسرائيل.

وتدخل «دادو» وهو رئيس الأركان ديفيد إليعازر ليفرض على المجتمعين العودة إلى الموضوع الرئيسى فى جدول أعمال هذا الاجتماع.

قال إليعازر أن الموقف على الجبهتين المصرية والسورية لا يمثل خطورة. ومن المستبعد وقوع هجوم مصرى - سورى مشترك. لقد قام السوريون بحشد قوات إضافية على الجبهة منذ المعركة الجوية التى سقطت فيها ١٢ طائرة لكنهم لم يتمكنوا من القيام بهجوم منفرد. أما الجبهة المصرية فتشهد حلقة من حلقات تحركاتها المستمرة طوال العام وهى تقوم بمناوراتها السنوية

التى تشمل نقل قوات مختلفة من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق.. وبالعكس.

ولا نوصى بالموافقة على استدعاء قوات الاحتياط.

وتحدثت جولدا مائير عن تجاربها السابقة مع المصريين. قالت إنها لا تريد أن تكرر تجربة شهر مايو الماضى. لقد سجلنا يومها تحركات مصرية واسعة، وتم رصد العديد من معدات العبور والكبارى المحمولة وهى تنقل من العمق إلي الجبهة المصرية. وتلقينا معلومات وثيقة عن تحرك معدات العبور على الطريق القريب من مطار القاهرة فى اتجاه السويس. وشاهدها أحد الملحقين العسكريين فى القاهرة من أصدقائنا. ويومها قالت أجهزة مخابراتنا أن الحرب لن تندلع من جديد وأن المصريين غير قادرين على عبور القناة لا الآن ولا مستقبلاً. ورغم ذلك فقد قررنا يومها أن نأخذ الأمر بجدية. وانتقلت بنفسى ومعى عدد من الوزراء ومعنا حاييم بارليف وزير الصناعة إلى المركز الرئيسى للمخابرات العسكرية؛ لنناقش تفاصيل الموقف ونعد للتعبئة. ولكن شيئاً لم يحدث. وما نراه الآن على الجبهة المصرية أقل مما تم رصده فى مايو الماضى. وما دام أحد لم يطلب التعبئة فإننى أيضاً لن أفكر فيها.

وسيعقد مجلس الوزراء الإسرائيلى اجتماعه المعتاد بعد ثلاثة أيام يوم الأحد ٧ أكتوبر عقب إجازة العيد وسنواصل يومها بحث الموقف بكل أبعاده وتطوراته اللاحقة.

وبينما كان المجتمعون يغادرون مكتب رئيسة وزراء إسرائيل

كانت أحداث اليوم (ى - ٣) تتلاحق داخل مراكز القيادة والسيطرة على الجبهة المصرية مع اتمام الحشد على محاور الجيشين الميدانيين الثانى والثالث.

واستكملت وحدات المهندسين استعداداتها لفتح ٧٠ ثغرة فى الساتر الترابى بحجم ١٥٠٠ متر مكعب لكل ثغرة وإنشاء ١٠ كبارى ثقيلة لعبور الدبابات والمدفعية الثقيلة و٥ كبارى خفيفة تماثل تماماً فى شكلها الكبارى الثقيلة ولكن الهدف منها جذب نيران العدو وخداعه وصرف انتباهه عن مناطق العبور الرئيسية بالإضافة إلى ١٠ كبارى اقتحام لعبور المشاه صنعتها إدارة المهمات المصرية. كما تم تجهيز ٧٢٠ قارباً مطاطياً للمشاه مع ٣٥ معدية عبور. وأصبح من المتوقع الانتهاء من فتح الثغرات وتشغيل المعديات الساعة (س + ٥) قد تتأخر فى بعض المواقع بفعل نيران العدو لتصل إلى (س + ٧) أى الساعة التاسعة مساء السبت ٦ أكتوبر.

وفى ذلك اليوم - يوم الأربعاء ٣ أكتوبر ١٩٧٣- وهو اليوم (ى - ٣) هبطت طائرة عسكرية في إحدى القواعد الجوية السورية قرب دمشق وكان عدد ركابها اثنين فقط هما الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية المصرى واللواء بهى الدين نوفل رئيس أركان القيادة المصرية - السورية الاتحادية. ونقلتهما سيارة مرسيدس تحمل أرقاماً مدنية (خصوصى) إلى الاستراحة القريبة من المطار ليكون فى انتظارهما وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس.

وسر هذا الاجتماع يرجع إلى رغبة القيادة السورية تأخير اليوم (ى) لمدة ٤٨ ساعة لاستكمال الحشد وتهيئة الجبهة الداخلية للحرب، والانتهاء من تفريغ صهاريج البترول فى مصفاة التكرير بمدينة حمص. لكن المناقشة أسفرت عن بقاء اليوم (ى) هو السبت السادس من أكتوبر باعتباره أنسب الأيام لتحقيق المفاجأة واستغلال إجازة يوم الغفران (عيد كيبور) عند اليهود، بالإضافةِ إلى أن الحرب كانت قد بدأت فعلاً بالنسبة لبعض الوحدات المصرية ، ومنها الغواصات والقطع البحرية التى غادرت قواعدها مع فرض الصمت اللاسلكى عليها واستحالة الاتصال بها.

وعاد وزير الحربية المصرى إلى القاهرة ليجد مفاجأة في انتظاره. لقد تبين أن شركة «مصر للطيران» قامت بإلغاء رحلاتها الجوية وبدأت في تنفيذ إخلاء طائراتها من مطار القاهرة كما أصدرت تعليمات لطائراتها فى الخارج بالبقاء حيث هى وعدم القيام برحلاتها المقررة إلى القاهرة.

ويرجع هذا التصرف إلى سوء فهم للتعليمات التى وجهها الرئيس السادات لعدد من الوزراء - بينهم وزير الطيران المدنى - بشأن الاستعداد لأى احتمالات مفاجئة قد تقع بين لحظة وأخرى. وقد لاحظ وزير الطيران تصاعد حالة الاستعداد وتوقع باجتهاده الشخصى أن تقوم إسرائيل بضربة مفاجئة وقائية على غرار ما حدث عام ٦٧ واستصوب حماية طائراته من التدمير.

وفى اتصال عاجل بين وزير الحربية ووزير الطيران المدنى

تم تدارك المـوقف وإلغاء تعليـمات وزير الطيـران وعادت حـركة الطائرات إلى حالتها الطبيعـية بعد خمس ساعات من التوقف الذى أربك حركة المسافرين وحشد الركاب فى قاعات الانتظار.

ولم يكـن لذلك أى انعكـاس أو رد فــعل فى إســرائيـل التى لم يتغير الموقف فى تصورها عما كان في اجتماع رئيسة الوزراء واستـمرت حالة التـرقب المعتـادة حتى اختلف الأمـر في اليوم التالى.

وبينما كـان العسكريون يضعـون اللمسات الأخـيرة فى خطة الخداع والتمويه كان الرئيس الســادات يضع اللمسات الأخيرة فى الخطة السياسيـة. واستقبل يومها مستـشار الأمن القومى حافظ إسمـاعيـل الذى أطلعه على مـسودات البـيان الذى سـيلقى باسم مصر فى مـجلس الأمن عند انعقاده المتوقع بعـد نشوب الحرب، وكذلك التعليمـات التى سيتم إبلاغها إلى وزير الخارجـية الدكتور محمـد حسن الزيات الموجود فى نيـويورك، والذى لم يعرف بعد شيئاً عن الحرب التى توشك أن تقع.

وتم تجهيز قـصر الطاهرة ليكون مقراً للقيادة السـياسية أثناء الحرب.. وبدأ الرئيس السادات يستعد للانتقال إليه. وأخر الرئيس السادات انـتقاله إلي هـناك عندما تلقى طلبـاً عاجـلاً من السفـير السوفييـتى فى القاهرة يطلب مقابلته. وتمت المقـابلة فى السابعة مـساءً. وقـدم خلالهـا السفـير رسـالة من الرئيس السوفـييـتى برجينيف يطلب فـيها سـحب المـستشارين المدنيـين وأسرهـم من مصر. وكان ذلك موضـع اسـتياء الرئيس السادات لكنه لم يستطع رفضـه.

وفي اليوم التالى وصلت بالفعل ست طائرات سوفييتية «طراز اليوشن» لتنقل المستشارين وأسرهم إلى بلادهم. وتكرر ذلك فى سوريا.. وعرف به العدو الإسرائيلى واستطاع أن يكسر بواسطته حلقات الخداع مستشعراً الخطر بصورة جدية.. ولأول مرة عندما كان المستـشارون السوفييت وأسرهم يتـجهون إلي المطار، كان الرئيس السادات يتجـه إلى قصر الطاهرة ليخلع ملابسـه المدنية ويرتدى الزى العـسكري للـقائـد الأعلى للقـوات المـسلحـة. لكنه لم ينتقل إلى المركز الرئيسى للقيادة إلا ظهر اليوم (ى) السادس من أكتوبر وهو المركز المـعروف باسم «الموقع رقم ١٠» غير أن جميع القـادة العسكريين كانوا بالفعل يقيـمون داخل الموقع رقم (١٠) ما عدا وزير الحربية. ومن داخل الموقع (١٠) تمت مراجعة خطة أولويات العـبور طبـقاً لـلأسبـقيـات المقـررة. وبدأ مع يوم الجمـعة ٥ أكتـوبر (ى ـ ١) وضـع العلامات والأرقـام الإرشادية على النقاط المقررة للعبور والتى ستتم إضاءتها بالأضواء الملونة مساء السبت بعد آخر ضوء لليوم (ى).

ومع هذه المـرحلة بدأ العـدو يفـهم مـايجـرى على الجـبـهـة المصرية وبدأت آثار الخداع تزول تدريجـياً.. لكنه لم يتوقع ساعة الحرب وبقيت الساعة (س) لغزاً بالنسبة له.

كانت أولويات العبـور تقضى بتقسيم وحدات المـشاة المكلفة بالعـبور إلى مـجمـوعـتين. المـجمـوعـة الأولى : هى مجـموعـة المترجلين الذين يقتحمـون القناة فى قوارب مطاطية ثم يتحركون على أرجلهم وبسـلالم من الحبال لـيصلوا إلى الضفـة الشرقـية.

والمجمـوعة الثانية : تضـم الوحدات والأطقم ذات الأسلحــة الثقيلة التى تنتظر على الضـفة الغربيــة إلى أن يتم فتح الممرات فى السد الترابى وتشغـيل المعديات والكبارى. ويتم العبور فـوق المعديات والكبارى طبقاً لأهمية كل مركبة وحاجة المشاة إليها وعلى أساس أسبقـيات ست أولاها الدبابات وعربات القتـال وعربات اللاسلكى والهاونات الثقيلة وبعض عربات نقل الذخيرة. أما الأسبقية التالية فتشمل وحـدات المدفعية ووحدات الدفـاع الجوى وعدداً آخر من عـربات نقل الذخـيرة . ويـلى ذلك قوات الأسـبـقـية الثـالثـة من العناصـر الإدارية لكتائب المـشـاه وكتـائب المدفـعيـة المضــادة للطائرات . والأســبقيــة الرابعة تتكون من الوحــدات الإدارية على مستوى الألوية . وتأتى الوحدات الإدارية على مستوى الفرقة فى الأسبقية الخامسة .

أما الأســبقيــة السادسة الأخيـرة فتضم العـربات المخصـصة لركوب أفراد المشــاه الذين عبروا بالقوارب ويتم تحركـها للعبور مع بداية اليـوم الثـالـث في الســاعـة (س + ٤٥) وكل منهـا فى التوقيت المعين لها وبالترتيب المحدد.

وهذا الحجم من القوات لم يكن ليخطر ببال القيادة الإسرائيلية وإنما ظل يشكل مفاجأة كاملة لهـا حتى بعد أن شعـرت بما يجرى وبدأت تستعد له وتتحرك لمواجهته.

كانت رئيسة الوزراء جـولدا مائير تستعد لمغادرة مكتـبها بعد ظهر الجمـعة ٥ أكتوبر بعد أن قـررت قضاء إجازة العـيد بمنزلها فى «برامات أفيف» لتـعود إلى القدس صباح الأحد حيـث سينعقد

الاجتماع المقرر لمجلس الوزراء الإسرائيلى. لكنها تلقت تقريرا عاجلاً شعرت معه بكثير من الخوف. كان التقرير يقول إن طائرات ركاب سوفيتية من طراز اليوشن وصلت إلى دمشق وإنها تقف فى انتظار عائلات الخبراء السوفييت فى سوريا لنقلهم إلى موسكو، وأن أفراد العائلات السوفييتية قاموا بحزم أمتعتهم على عجل إستعداداً للرحيل.

وأجرت جولدا مائير ثلاثة اتصالات تليفونية بوزير دفاعها موشى ديان وبرئيس الأركان ديفيد إليعازر - الذى تلقبه باسم دادو - وبمدير الاستخبارات إلى زئيرا. وكان سؤالها إلى كل منهم يدور حول مدلول هذا التقرير. لكن أحدا منهم لم يجزم بأن هجوماً سورياً يمكن أن يقع على الفور، وأن ترحيل أسر الخبراء السوفييت يمكن أن يسبق أية عمليات عسكرية بأيام أو بأسابيع. واستبعد إليعازر قيام سوريا بعمل عسكرى منفرد وأكد أيضاً أن ما يجرى على الجبهة المصرية هو تكرار لما سبق وما تكرر على مدى شهور طويلة كان آخرها شهر مايو الماضي.

ورغم ذلك اتفقوا جميعاً على عقد اجتماع فى المساء وتأجيل برامجهم السابقة المعدة ليوم كيبور. وقررت رئيسة الوزراء أن يكون الاجتماع موسعاً وأن يحضره كل الوزراء الموجودين فى تل أبيب.

واكتمل الاجتماع فى السابعة والنصف مساءً بمكتب رئيسة الوزراء فى تل أبيب، وشهده أعضاء الوزارة الإسرائيلية ومعهم الجنرال إليعازر رئيس الأركان والجنرال زئيرا مدير الاستخبارات.

وبدأت جولدا مائير رئيسة الوزراء الحديث قائلة:

إننى أشعر بالضيق وأستشعر خطراً ينبع من مصدرين أولهما: ما يتـردد الآن فى أجهزة الإعـلام والصحف العربيـة حول رفض إسـرائيل للسلام الذى يتطلـع إليه العـرب وتصويرنا فى صـورة الذى يستعـد للحرب من جديد. والمصدر الثـانى: هو خروج أسر الخبراء السوفييت من سوريا على وجه الاستعجال.

إن ذلك سبق أن وقع فى الماضى ويذكـرنى بما حدث فى مايو ١٩٦٧ عندما اتهمـنا العرب باننا نحشد قواتـنا ضد سوريا. وهذا ما تقوله الصحافة العربيـة الآن. ويومها قرر العرب توجيه ضربة عسـكرية إلينا لولا أن تحركنا في عـملية وقـائية حـققت النـصر لإسرائيل.

وتولى الرد حاييم بارليف وزير الـصناعة والخبيـر العسكرى المـتخـصـص فى شـئون الـدفاع وصـاحب فكرة الخط الدفـاعى الحصين شـرق القناة المعروف باسمـه. قال بارليف: إن الأمر لن يستوجب توجيـه ضربة وقائية ولا استدعـاء الاحتياط الآن. لكن ذلك لا يمنع من إلغاء الإجـازات ورفع حالة الاستعـداد خاصة في أجهزة الدفاع الجوى مع بقاء الاتصال المـستمر قائماً بين رئيسة الوزراء ووزير الدفـــاع مـوشى ديان. واقـتـرح الوزير جـــاليلى الاتصال بواشنطن قـبل بدء إجازة نهاية الأسبـوع ـ غداً السبت ـ ومطالبتهم بالاتصال بالسوفييت وبالتـأكيد على أهمية بقاء الهدوء فى الشرق الأوسط.

وانفض الاجتماع بعد إرسال بلاغات تحذير إلي وحدات الدفاع

الجوى الإسرائيلي ورفع حالة الاستعداد وإلغاء الإجازات دون أى تفكير في استدعاء قوات الاحتياط.

ولم يعد أمام إسرائيل فرصة لتداول الموقف أو مجابهة الخديعة التى وقعت ضحية لها. فقد بدأ العيد، وتوقفت الإذاعات والتليفزيون عن البث وتوقفت معها كل وسائل استدعاء الاحتياط بالطرق العلنية. وساد الجمود كل جوانب الحياة فى إسرائيل ليظل القلق محصوراً بين رئيسة الوزراء ووزير الدفاع طبقاً لما استقر عليه الرأى فى الاجتماع الليلى من مساء الجمعة.

ولم تستطع رئيسة الوزراء أن تحضر عشاء ليلة العيد التى أعدها ابنها «ميناحيم» وابنتها «وايا» لأصدقائهما وهو العشاء الذى يسبق صيام يوم الغفران - كيبور - واتجهت مباشرة إلي مخدعها فى محاولة للتغلب على الأرق.

وبعد لحظة طلبت مائير من سكرتيرها العسكرى «أليور» أن يستدعى كلا من جاليلى وألون ودادو وديان للاجتماع فى مكتبها قبل الساعة السابعة صباحاً.

وكان ديان مستيقظاً فقد تلقى نفس المعلومات قبل أن تتلقاها رئيسة الوزراء. لقد دق جرس التليفون الأحمر بجوار سريره قبل الرابعة فجراً بدقيقة أو دقيقتين.. وقال محدثه بوضوح كلمات قاطعة:

«مصر وسوريا ستدخلان الحرب ضدنا قبل الغروب. الخبر مؤكد من مصدر رفيع المستوى طلب أن يبلغه بنفسه لرئيسة الوزراء».

وقفز وزير دفاع إسرائيل من سريره ليرتدى زيه العسكرى بسرعة ويتجه إلى مكتبه فى وزارة الدفاع. وقبل أن يغادر بيته طلب رئيس الأركان الجنرال ديفيد إليعازر ليلحق به فى وزارة الدفاع.

وكان «أليور» سكرتير رئيسة الوزراء العسكرى قد أبلغه بموعد اجتماعهم مع مائير. وفى مكتب ديان اقتصر الاجتماع عليه وعلى رئيس الأركان إليعازر وتطرق إلى أربع نقاط:

(١) استدعاء الاحتياط وتعزيز الجبهات.

(٢) توجيه ضربات جوية فى هجوم وقائى.

(٣) إجلاء النساء والأطفال من المستعمرات الحدودية فى الجولان.

(٤) توجيه إنذار إلى مصر وسوريا لدفعهما إلى التراجع والظهور أمام العالم بأن مسئولية الحرب لا تقع على إسرائيل.

وطلب رئيس الأركان موافقة رئيسة الوزراء على استدعاء الاحتياط وتوجيه هجوم وقائى على الجبهتين. ولم يكن هناك اعتراض على استدعاء الاحتياط لكن الضربة الوقائية كانت موضع البحث فى الاجتماع التالى الذى تم عقده بعد ساعة واحد في بيت رئيسة الوزراء والذى عرف باسم اجتماع المطبخ.

واكتمل الاجتماع فى مطبخ بيت جولدا مائير فى الثامنة صباحاً. وتحدثت مائير عن المعلومات التى أبلغها «الصديق الأردنى قائلة : انها معلومات دقيقة لا تستند إلى تحركات

عسكرية معينة ولكنها تستند إلى معلومات عن القرار العربى بدخول الحرب.

وأشار ديان إلى ان هذه المعلومات قد سبق ان جاءت من قبل، وبالذات فى شهر مايو السابق وتم استدعاء الاحتياط بكل ما يترتب عليه من تبعات وتكاليف باهظة دون جدوى. وربما تعمد أحد تسريب هذه المعلومات بعد ان وجد رد الفعل لدى اسرائيل لا يتناسب مع التحركات الجارية فى سوريا ووجود معدات عبور تصاحب كل الوحدات المصرية المشاركة الآن فى المناورات التدريبية.

لكن المجتمعين لم يترددوا فى أخذ الأمر بكل جدية. واتفق الجميع على حتمية استدعاء الاحتياط وفتح قنوات الاتصال مع أمريكا، واجلاء النساء والأطفال من المستعمرات الاسرائيلية على الحدود السورية.

أما عن توجيه ضربة وقائية فقد تم الاتفاق على تأجيلها مع الإعداد لها بحيث تتم على الجبهة السورية فقط وتوجه إلى قواعدها الجوية الداخلية ونظام دفاعها الجوى الصاروخى وليس على منطقة الجبهة.

وصدرت الأوامر باستدعاء قوات الاحتياط بالطرق التقليدية وليس بالوسائل العلنية نتيجة توقف الاذاعات والتليفزيون خاصة انه لن يجرى تشغيلهما يوم العيد لأن أحدا لن يستمع إليهما لان الناس فى اسرائيل تعرف انهما لا يعملان فى يوم كيبور.

وقدر رئيس الأركان القوات التى سيتم انضمامها إلى القوات

العـاملة بين ١٠٠ الف أو ١٢٠ ألف مـقـاتل يمكن حشـدهم بعـد ساعات من بدء الهـجوم العربى المقرر موعده قـبل غروب شمس ٦ أكتوبر. وقـال إن الطيران الاسرائيلى يستطيـع ان يبدأ بضربة مباشرة فى المساء حتى لو تراجع العرب عن هجومهم. لكن مائير لم توافق على الضـربة الجـوية ووافـقت على الإعـداد لهـا حـتى تتكشف الأمور بوضوح أكثر. وطلبت وزير خارجيتها أبا ايبان فى نيويورك حـيث كان يحضـر اجتماعـات الأمم المتحـدة ويقيم فى فندق «والدورف استوريا».

كمـا استدعت سفـير اسرائيل فى واشنطـن ـ سمحا دنيـتز ـ الذى كـان يقـضـى العـيـد فى إسـرائيل وطلبت منه السـفـر إلى واشنطن على الفور.

كمـا طلبت السـفيـر الأمريكى فى تل أبيب ـ كـينيث كيـتنج ـ ليجتمع معها فى أسرع وقت.

قالت مائير لـلسفير الأمريكى : إن الهجوم سـيكون فى المساء من الجـبهـتين الـمصـرية والسورية وهـذا ما تؤكـده معلومـات المـخابرات وتحليل المـعلومـات الخاصـة بالتحـركات السـورية والمصـرية. ولذلك فـإن اسرائيل لن تبـدأ بالهجـوم فقد يـتراجع السادات كما فعل من قبل وقد تتـدخل واشنطن ومعها السوفييت. وطلبت من السفير الأمريكـى ابلاغ ذلك إلى وزير خارجيته هنرى كيـسنجر وإلى الرئيس الأمريكى الذى يسـتطيع أن ينقل ذلك إلى السوفييت عبر خط التليفون الساخن مع موسكو.

وعندما توجه السفيـر الأمريكى إلى مكتبه للاتصال بواشنطن

كانت الساعة تقترب من الثـانية عشرة ظهر يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣. وكان السؤال الذى يتكرر بصور مختلفة داخل الموقع (١٠) الذى يسيـطر على حركـة الحرب فى الجـبهة الـمصرية هـو: هل عرف الاسرائيليون؟ ومتى عرفوا؟

كان قـد تم رصد طائرتى اسـتطلاع اسرائيلـيتين بالـقرب من قناة السـويس فى الساعة الـتاسعـة والنصف صبـاحاً. لم تعـبر الطائرتان إلى غرب القناة ، لكن تجهيزاتهـما تتيح لهما الاستطلاع والتصوير من فوق سـيناء. ولابد أن تكون اسرائيل قد تأكدت من وجود الجسور ومعدات العبور قرب شواطىء القناة.

لكن الاسـتطلاع الاسـرائيلى رصد أيـضاً الجنود الـمصـريين يلعـبون الكرة على حـافة القناة ، بينمـا يسبح بعـضهم فى مـياه القناة نفسـها.

ولم ترصـد طائرتا الاستطلاع هـذا العدد الكبـير من مكبـرات الصوت المـتنقلة التى بدأ توزيعـها على الوحـدات دون أن يعرف أحد أنها مخصصة، لترديد صيحة «الله أكبر» من خلالها مع أولى موجات العبور.

كـمـا لم ترصـد طائرات الاسـتطلاع وصـول وزير الحـربيـة المصرى الفريق أول أحمد إسماعيل إلى قصر الطاهرة، ليصطحب من هناك الرئيس أنور السادات فى زيه العسكرى لينضما معاً إلى الرجال فى المركز رقم (١٠).

وفى الساعة الواحدة بعد الظهـر كانت الساعة (س ـ ١) عندما

وصل الرئيس السادات والفريق أحمد إسماعيل إلى المركز رقم (١٠) لتُغلق أبوابه الحديدية ويمنع تماماً الدخول إليه أو الخروج منه.

ويتم ضبط جميع الساعات لأقرب ثانية. وترفع جميع خرائط المناورات التدريبية «تحرير ٢٣» لتحل محلها خرائط العملية الهجومية «بدر» وتتوالى الاشارات إلى قيادات الجيش الثانى الميدانى والجيش الثالث الميدانى بانجاز المهام القتالية اعتباراً من الساعة ١٤٠٥ وهى ساعة الصفر (س) من يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ (ى).

وتصدر التعليمات للدكتور محمد عبدالقادر حاتم وزير الاعلام بتنفيذ الشق الإعلامى للخطة الهجومية طبقاً للمتفق عليه، واعتباراً من (س - ٣٥ق) وهنا تقطع الإذاعة المصرية برامجها في الساعة ١٣٣٠ الواحدة والنصف بعد الظهر لتذيع الخبر التالى:

«جاءنا الآن أن عناصر من القوات الاسرائيلية المسلحة هاجمت مواقعنا فى الزعفرانة، وهذا الهجوم يمثل خرقاً خطيراً لوقف إطلاق النار. وقد تم إبلاغ مجلس الأمن الدولى بهذا العدوان».

وبعد إذاعة هذا النبأ استأنفت اذاعة القاهرة برامجها العادية لتقطعها مرة أخرى فى الساعة الثانية بعد الظهر وتذيع المارشات العسكرية. وعندما بدأت إذاعة القاهرة فى بث الموسيقى العسكرية كانت الأوامر تخرج من المركز رقم (١٠) إلى جميع القواعد الجوية حيث الطائرات على أتم استعداد لتوجيه الضربة

الجوية المفاجئة والمؤثرة إلى جميع مطارات العدو ومراكز قياداته ومناطق حشد مدفعيته فى سيناء.

وعلى ارتفاعات منخفضة جدا عبرت ٢١٠ طائرات مصرية القناة فى وقت واحد لتطلق قذائفها ونيرانها على الأهداف المعادية فى تمام الساعة ١٤٠٥ ولتنطلق فى نفس اللحظة قذائف ٢٠٥٠ مدفعاً مصرياً نحو أهدافها فى سيناء.. ويسبح فى مياه القناة أفراد الصاعقة والمهندسين والضفادع متجهين إلى مخارج مواسير السوائل المشتعلة للتأكد من إغلاقها وعدم قيام العدو بإصلاح شىء منها..

وفى تلك اللحظة كان الاسرائيليون يستعدون لمواجهة الهجوم المتوقع فى السادسة مساءً عندما انطلقت صفارات الانذار فى كل أنحاء اسرائيل، وتم استدعاء القادة العسكريين إلى نقطة القيادة الاسرائيلية المعروفة باسم «كدم» والشهيرة باسم «الحفرة» تحت سطح الأرض فى مركز مجموعة العمليات.

وهناك كان فى انتظار الجميع البيان الأول الذى يؤكد أن المصريين عبروا قناة السويس بطول خط المواجهة كله تحت ستار نيران أكثر من ٢٠٠٠ مدفع، تسبقها ضربات مركزة على مراكز السيطرة والقيادة والمطارات قامت بها أكثر من ٢٠٠ طائرة مصرية وان العلم المصرى يرفرف الآن فوق النقاط الحصينة لخط بارليف شرق القناة..

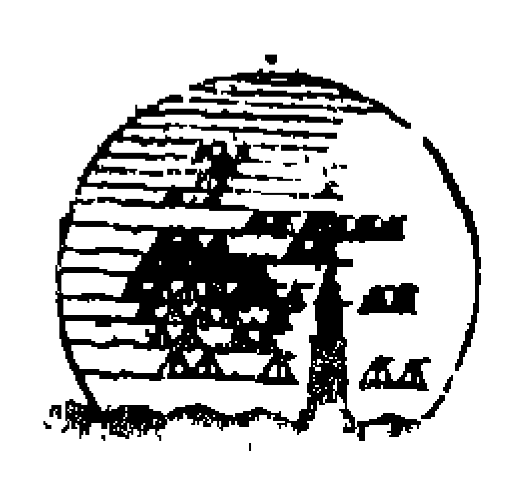
وكانت هذه هى البداية..

رقم الإيداع ١٣١٦١/٩٨

الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0777 - X



هذا الكتاب

هذا الكتاب يشرح لنا ـ ولأول مرة ـ كيف استطاعت مصر أن تخدع قادة إسرائيل العسكريين وزعماء أحزابهم السياسية .. وأن تجعلهم مطمئنين أن مصر ليس لديها أية نية على الحرب عام ١٩٧٣ .. وأن تجعلهم « كالمسحورين » يشاهدون كل التحركات العسكرية المصرية على الجبهة ومعهم معدات عبور القناة وفى أيديهم الصواريخ .. ويرصدون استدعاء قوات الاحتياط المصرية .. ومع كل ذلك .. لا يقدرون حقيقة الموقف العسكرى المصرى .. !!

وقد استطاع الزميل صلاح قبضايا الذى كان فى ذلك الوقت المراسل العسكرى لأخبار اليوم أن يحصل على الخطة الكاملة صاحبة الفضل فى جعل قادة إسرائيل سواء العسكريين أو الزعماء السياسيين كالمسحورين لا يفهمون حقيقة ما يجرى أمام عيونهم وآذانهم .. !! وقد أطلق عليها خطة الخداع والتمويه أمر بها الرئيس السادات وقام بوضعها مجموعة قليلة من رجال القوات المسلحة عددهم ٧ فقط يتميزون بقدرات ذهنية وفكرية خاصة ونظرة شاملة للأمور .

وهذه الخطة تحوى أسراراً مثيرة .. وحكايات مشوقة .. تنشر لأول مرة وتكشف كيف استطاعت مصر ببراعة وذكاء أن تخدع ليس إسرائيل وحدها .. بل جميع أجهزة مخابرات العالم .. مما يمكن أن نطلق على معركة أكتوبر ١٩٧٣ « المعركة المفاجأة » فلم تتأكد إسرائيل بالهجوم المصرى إلا بعد أن عبر رجالنا القناة وتمركزوا على الضفة الشرقية !

نبيل أباظة

الثمن ٥ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم